نواميس

أو

د/ وسام قاسم

اسم الكتاب: نواميس

اسم الكاتب: د/ وسام قاسم

رقم الإيداع: 7480 / 2019

الترقيم الدولي: 978-977-835-101-9

الطبعة الأولى: 2019

إخراج داخلي: هيام فهيم

صادر عن: مؤسسة زَحمَة كُـتَّاب للثقافة والنشر

15 ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر

www.za7ma-kotab.com

دار زحمة كتاب للنشر

za7ma_kotab_publishing

za7ma-kotab@hotmail.com

01205100596

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

لمؤسسة زَحمَة كُـتَّاب للثقافة والنشر

إهداء لحامله ،،

د. وسام فاسعر

مقدمة ..

تتعدد السنن الكونية وقوانين الحياة ونواميسها، وقد تختلف في طبائعها بين المرئي وغيره، كما أن منها الإيجابي أو السلبي، لكن ما تتفق فيه جلّها أن بإدراكها تدرك الحياة وتدرك مقاصدها وتيسّر سبلها وتذلل صعابها ويمكّن بذلك سبر أغوارها.

نقدم هنا سبعة وعشرين ناموسًا كأبجدية من الأبجديات التي قد تساعد على استيعاب طبائع وفرضيات وإرهاصات الحياة وبيت القصيد منها.

تلك الأبجدية التي بفهمها يمكن قراءة أحداث الدنيا ومتغيرات الحياة بنظرة أكثر موضوعية وواقعية بدون تحيّز أو استقطاب.

1- ومضة ..

من زعم أن متع الحياة تنحصر في تلك الناتجة عن تلبية الغرائز البيولوچية فلا شك أنه قد ضيق واسعا واختصر مرسلا؛ فالمتأمل لروح الإنسان وخصائصها يجد أن دوافع سعادتها تختلف عن دوافع جسده، وأحيانا تقابلها؛ فمتعة الجسد في الأخذ والاستحواذ والسيطرة، ومتعة الروح في العطاء وإسعاد الآخرين، هذه النظرة ليست نظرة فلسفية أدبية خالصة بل هي نظرة واقعية لا تفتقر لفرص التحقيق والنجاح، وصل إليها الذين ارتقوا بنور روحهم عن طين جسدهم.

تلك الأولى وظيفتها التأكيد على تلبية هذه الغرائز الطبيعية لضمان استمرار الحياة، لكن الثانية هي لضمان استمرار الحياة بشكل أفضل يعوزه الكره والحقد والشقاء.

يكفي أن تترك بصمة إيجابية في حياة الآخرين حتى لو لن تراهم مرة أخرى، ستشعر تلقائيًّا أنك قد أضيفت حيوات جديدة لحياتك، هذا هو المقابل العادل الذي يعطيه لك القدر مكافأة لتغيير حياتهم للأفضل، وما دونها من مكافآت هي قطعًا ثانوية.

يحتاج الإنسان إلى أن يرسل، كما يحتاج إلى أن يستقبل، يحتاج إلى أن يعطي كما هي حاجته الغريزية إلى أن يأخذ؛ ربما لأن ذلك يشعره بوجوده وبأهميته وأنه ليس عدَمًا أو جمادا.

طوبى لمن وهبهم الله عينًا ترى الجمال أينما كان، ووهبهم روحًا مثابرة تبحث عن جمال الحياة في ثناياها وطيَّاتها، هما بالطبع روح وعين جميلتان؛ فكل إنسان يرى الأشياء بعين نفسه، وكل إناء ينضح بما فيه، طوبى لمن يرون الجمال وراء ضربات ريشة ڤان جوخ وداخل تكعيبات بيكاسو، ولمن يسمعون صوت الحياة في معزوفات بيتهوڤن. ولا يحتاج هذا الإدراك إلى بصر قدر حاجته إلى بصيرة ؛ فقد أنار قلم عميد الأدب العربي الطريق لملايين القراء وهو ذو النظارة السوداء.

الله هو الكريم، ومن كرمه أن جعل أسباب السعادة عن أيماننا وعن شمائلنا، جعلها في لحظة نجاح ولحظة أمل ولحظة حنين، وأودعها في بسمة طفل ودعوة أم ونظرة حب.

2- جذور ..

لا تثبت الشجرة إلا بالجذور، ولا يظل الجبل قابعا مكانه على قدره وعظمته إلا بالجذور، تكون الجذور دائما مخفية عن الأنظار ولكن بدونها لا يكون للمنظور وجود، بدونها يسقط وينهار وينعدم، قد يكون حجم الجذر أكبر من حجم الشجرة ذاتها، وهذا ليس إسرافا أو تبذيرا أو حتى صدفة؛ فهذا الحجم الممتد يليق بما هو مُسنَدٌ إليه من دور وأهمية، من تثبيت وتدعيم، ولما يعطيه من قوة واستمرارية. ولأن الخالق واحد فالخلق أيضا واحد ومبادئه وأساسياته ثابتة؛ فكما أن الشجرة لا تثبت أمام الرياح والصيّب إلا بالجذور كذلك الإنسان لا يصمد أمام رياح التغيرات الزمانية والمكانية والاختلافات الاجتماعية والعقائدية التي قد يتعرض لها إلا بالجذور؛ جذوره المتمثلة في موروثاته من عادات وتقاليد ونظم حياتية ونسب ودين. ولا تخلو قائمة الجذور من العنصر البشري إن لم يكن هو العنصر الأهم في شبكة الجذور المتشعبة، حبانا الله بشخوصٍ هم جذور لنا ونحن جذور لهم من أصدقاء وأهل وأقارب ومعارف وأساتذة وغيرهم من أناس لولاهم لما أصبحنا على ما نحن عليه الآن.

تحتاج هذه الجذور كغيرها من الجذور للسُقيا لتستمر في العطاء ولإنجاز مهمتها الموكلة إليها، وتختلف طريقة سقيا تلك الجذور باختلاف نوع كلّ منها. وبهجر تلك الجذور وانصراف الانتباه عنها تصاب بالنضوب بعد النضوج، وبالشحوب بعد الرونق، وقد تنضب أنت فتتساقط أوراقك وتذبل أغصانك، وقد تصاب بالتيه، ليس تيه الطريق فحسب بل تيه الهوية والمرجعية والانتماء أيضًا، ويتجلى الضير هنا أن بهذا التيه يسهل الانصراف عن الطريق القويم والانجراف إلى ما هو دون ذلك. لسوء الطالع فإن أحيانًا كثيرة في هذا الصدد يكون قد سبق السيف العذل، فلا مجال للندم ولا وسيلة لتقريب ما بعُد من جذور؛ لذا وجب التنويه.

3- عدل؟!

"القاسطون على منابر من نور يوم القيامة"، هذا هو الحكم الذي وضعه الخالق - تبارك وتعالى- لمن يقسط ويعدل بين الناس، فما بالنا بعدله هو -عز وجل- وهو الذي اسمه العدل؟

إذن فما لنا نرى نواميسَ في الدنيا إن دلت فإنما تدل على غير ذلك؟ فهل من العدل أن يُنصر الظالم ويُغلب المظلوم؟ أو أن يولد إنسان ملكا ويولد آخر تنتظره سبل الشقاء كلها؟ ما الذي جناه حتى يعيش حياته شقيا تعيسا بلا اختيار آخر أو حتى مهرب؟ لماذا يولد طفل معافى ويولد آخر خديجًا عليلًا، يعيش حياته كلها بين أروقة وممرات المستشفيات، يتمنى النهاية تارة وينظر إلى أقرانه في حزن تارة أخرى؟

هل من العدل حدوث الكوارث الطبيعية في أصقاع الأرض وما يعقبها من تدمير الأخضر واليابس والموت والفقر والضياع لأشخاص لم يقترفوا أي ذنب ليلاقوا مثل هذا المصير؟ وهل من العدل أن تتعلق قلوبنا وعقولنا وأرواحنا ونفوسنا بأشخاص ثم لا نراهم مرة أخرى بدعوى تغير مسارات الحياة؟

تأملت هذه المشاهد وغيرها كثيرا، وتساءلت: هل يمكن أن يتنافى القانون الإلهي مع الواقع؟

يمكن أن نصل إلى مثل هذه الإرهاصات إذا اجتُزِئَتْ هذه المشاهد من سياقها وخرجت من مدلولها ونُظر إليها نظرة تبعدها عن كنهها وهو أنها مجرد جزء من كل، وفصل في كتاب كبير تمتد صفحاته لأبعد من هذه الحياة بكثير، فما هذه الحياة التي نعيشها بنعيمها ومقتها وعدلها وظلمها إلا مجرد مقدمة للحياة الحقيقية التي يؤول إليها كل شيء ويحقق فيها العدل المطلق؛ فيقتصّ المظلوم من ظالمه ويؤجر المريض على صبره والمبتلى على رضاه، ويُسأل صاحب المال والصحة فيما أفناهما وكيف استغلهما.

سيمر وقت طويل وعصيب على صاحب المظلومية المزعومة في الدنيا حتى يقطف ثمار صبره ورضاه ويعي الحكمة من وراء ذلك، ولكن الأهم أن هذا الوقت حتما سيمر مهما طال، فالعبرة دوما بالخواتيم.

ثم تتردد قضية أخرى إلى الأذهان هي قضية العقيدة، كيف من العدل أن ينشأ إنسان في كنف إسلامي وينشأ آخر ليجد نفسه ومن يومه الأول في الحياة بعيدًا كل البعد عن الطريق النوراني الصحيح وينتظره بعد ذلك مصير هو غير محمود بلا شك؟ لقد أقر الله -عز وجل- مبدأ أن الأجر على

قدر المشقة، وهذا هو حل المعادلة، دُبّرت لنا سبل الوصول من عقل ومنهج وطريق، ربما يكون الطريق غير ممهد أحيانًا لكن لا يفتّ ذلك في عَضُد الباحث عن الحق؛ لعلمه أن الدنيا مهما طالت فإنها دار ممر وما بعدها هي دار المقر، والأجر دوما على قدر المشقة، تلك المشقة التي هي في حقيقتها نعمة؛ لما لها من عظيم الأجر. ولا يقلل ذلك من قدر أجر الفريق الآخر شيئًا، فالذي يقرأ القرآن وهو عليه شاق له أجران، ومن يقرؤه وهو ماهر فيه فهو مع الملائكة الكرام البررة.

يُطرح سؤال آخر في هذا الصدد، سؤال شغل الكثيرين على مدار قرون، هل الإنسان مسيّر أم مخيّر؟ وكيف يحاسب على ما هو مكتوبٌ عليه سلفا قبل أن يكون حتى مضغة في رحم أمه؟

أرى أن الإنسان مخيّر بين تسييرين، إنه مخيّر فيما يفعل ولكنه واقع بين تسيير قدره المكتوب في اللوح المحفوظ فقد رفعت الأقلام وجفت الصّحف، وبين تسييره إلى ما هو مكتوب بعد أن يختار، فإنه مسير ثم مخير ثم مسير مرة أخرى. ومسألة الحساب بالثواب والعقاب لا تكون في محلها إذا انتفت صفة الاختيارية عن أفعال الإنسان ولكنه وُهب عقلًا ليفكر ويقرر ثم يختار،

ويتجلى هذا المعنى في أن القلم رُفِعَ عن ثلاث: "الصغير والنائم وفاقد العقل"؛ لعدم أهليتهم للاختيار.

إذن فعلى الإنسان أن يهتم بما هو كائن في دائرة إمكانيته وهو اختيار الطريق الصحيح والمنهج القويم، ولا ينشغل بالمكتوب وعلم الغيب وما لا يمكنه استيعابه بعقله البشري المجرد، إذا قام بذلك ولم يلقَ الحساب العادل وقتها فقط يمكنه أن يسجل اعتراضه.

و بمنظور أكثر شمولية فإن هذه الدنيا ليست المكان المثالي للعيش فيه؛ فهي وبكل ما تحويه من نعيم ورغد العيش لا تليق بكرمه عز وجل، فلا بد من وجود مكان آخر يعبر بشكل أكثر كمالا عن جوده وعطائه تبارك وتعالى.

إذن هل يمكن أن يتنافى القانون الإلهي مع الواقع؟ بالطبع لا؛ فالإله الواحد هو من خلق القانون والواقع والمسببات والمآلات.

4- مندل ..

" إذا اختلف فردان نقيان في زوج من صفاتهما الجينية المتضادة فإنهما ينتجان بعد تزاوجهما جيلا به صفة أحد الفردين فقط، ثم تورث الصفتان معًا في الجيل الثاني بنسبة 3 : 1".

هذا هو قانون مندل الأول للوراثة، ولا يدور قانونه الثاني بعيدا عن هذا الإطار، إطار الصفات الجينية المحمولة أكوادها على الكروموسومات داخل نواة الخلية، تلك الصفات ولا شيء غيرها، فلم يتحدث مندل عن الصفات العقائدية أو الفكرية أو التربوية، إذن فما تفسير أن يتمسك شخص بمنحى عقائدي أو أسلوب فكري وأن ينفق الغالي والنفيس في سبيل إعلائهما ونشرهما بمجرد أنه وجد نفسه قد نشأ منذ نعومة أظافره في كنف هذا التوجه أو ذاك؟ وما معنى أن يشكل حياته بالعادات والتقاليد والأعراف المحيطة به فقط لأنه ولد في هذه البقعة الجغرافية المنتشرة بها مثل هذه العادات والتقاليد وما شابههما من الاجتماعيات؟

أربأ بالعقل البشري في خضم ما وصل إليه من تطور حضاري وعلمي أن تكون الإجابة: "هذا ما وجدنا عليه آباءنا وأجدادنا"... وإلا فكيف يكون لنا وجه أن

نتهم السابقين من الجاحدين والمجادلين للأنبياء - عليهم السلام- باضمحلال الفكر وسطحية الرؤية، ونحن هاهنا نردد ما قالوه قديما أو على الأقل نعيد استخدام وجهة نظرهم.

خلق الله قوة التخيل للإنسان ليجوب أكثر من حياة وليخوض تجارب حياتية ربما هي بعيدة المنال عنه في حياته القصيرة في عمر هذه الدنيا ولا بد أن يكون ذلك لحكمة؛ فلا يخلق الله شيئا عبثًا، فإذا تخيلنا للحظة أنك نشأت في الجانب الآخر من الصورة في الجانب المعاكس هل كنت ستحتفظ بنفس وجهة نظرك الحالية عنه وعن الجانب الذي أنت فيه الآن؟ ربما حريّ بك الآن وأنت في مكانك الجديد أن تقاتل لأن تكون في مكانك الأصلي، أكان لذلك فرصة لأن يحدث؟ أم أنه كأساطير الأولين؟!

حكمة -للأسف- تحظى بنسبة كبيرة من الصحة.. "الإنسان عدو ما يجهل"، وأنا لا أنكر ذلك، ولكن لكل قاعدة استثناء، فلم يأن لهذا الإنسان أن يعيد التفكير في هذه العدوانية ويعلم أنها في غير محلها، وأنها ربما تمنع عنه خيرا كثيرا، وأن هذا الذي يجهل ربما هو طريق نجاحه وصلاحه.

لم يظلمنا الخالق حينما قدّر لبعض البشر أن يَنْشَئُوا في الجانب المظلم من الطريق، فإن مع العسر يسرا، ولكل داء دواء، فكما قدر ذلك أهدى الإنسان نبراسا يرى به الطريق، وبصيرة يحكم بها على ما يلتبس عليه، وحكم بأن الأجر على قدر المشقة والصبر والإصرار على المضي قدما في المسار الصحيح.

يقول عز من قائل: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤]

هل يكون هذا الحسبان الخاطئ الذي يودي بمصير صاحبه إلّا نتيجة التمسك - الذي هو في غير محله- بالموروثات، فلو أعاد هؤلاء النظر في معتقداتهم وموروثاتهم وحسبانهم هذا لما أصبحوا من الأخسرين أعمالًا.

لا يعني الاستدلال بهاتين الآيتين التخلي عن مبدأ الحيادية، ولكنه للدلالة على أن تحرر الفكر وانتهاج الموضوعية لا يعني بالضرورة هجر الناموس المُعتقد بل قد يؤدي إلى زيادة الإيمان والتشبّث به.

و من منطلق أن لنفسك عليك حقا، فمن هذا الحق أن تفنِّد الآن وبكل موضوعية وحيادية أي الانتماءات المنتمى إليها أنت تابع لها بدافع الاقتناع والإيمان الصادق وأيها بدافع الوراثة.

فهي دعوة للتحرر من قيد الموروثات وإعادة تقييم تلك الموروثات التي سنعود إليها حتما إن كانت صحيحة أو سنعبر إلى الجانب المشرق بدونها إن كانت غير ذلك.

5- السر ..

يتحدث كتاب "السر" لـ"رواندا بايرن" عن السر وراء النجاح وتحقيق الأحلام والأمنيات ويُرجع ذلك لوجود قانون في الكون أسماه قانون الجذب، ويشير هذا القانون إلى أنه كلما فكرنا وشعرنا تمَّ إرسال "تردد" في الكون الخارجي، يجذب ذلك التردد إلينا الأحداث والظروف على نفس منواله سواء كان إيجابيا أو سلبيا.

على سبيل المثال، عندما تفكر بأفكار عابسة وتشعر بالغضب، ستُجتذب الأحداث والظروف التي تسبب لك مزيدا من الغضب. على العكس من ذلك، إذا فكرت وشعرت بإيجابية، سوف تُجتذب الأحداث والظروف الإيجابية.

ويُكمل قانون الجذب قائلًا: إن النتائج المرغوب فيها مثل الصحة والثروة والسعادة والنجاح يمكن أن تجتذب بمجرد تغيير الأفكار والمشاعر. على سبيل المثال، إذا أراد شخص سيارة جديدة، عن طريق التفكير في السيارة الجديدة مع مشاعر الإيجابية والامتنان حول السيارة كما لو أنها قد تحققت بالفعل وغيّر المرء حياته بطرق ملموسة للحصول على السيارة الجديدة- كاختبار قيادة للسيارة الجديدة أو حجز مكان لركن السيارة الجديدة حين

وصولها- سيعيد قانون الجذب ترتيب الأحداث لجعل ظهور السيارة ممكنًا في حياة هذا الشخص.

كما يعزو النجاح لهذا المنطق أيضا، فنجاح "توماس أديسون" في اختراع المصباح الكهربائي طبقا لتلك النظرية يعود لاستحضاره فكرة وجود المصباح لا لمحاولاته الـ ٩٩ المضنية وتعلمه من أخطائه وعكوفه في مختبره أياما ولياليَ. ذلك ما يزعمه كتاب "السر" الذي أغفل الأسباب الحقيقية للنجاح وضرب بها عرض الحائط، وأرجع النجاح والتميّز والتفوّق لسنّة كونية - إن صح التعبير- سنة كونية تنتصر للتخيّل ولأحلام اليقظة بدلا من أن تنحاز للجِد والاجتهاد والمثابرة والتضحية، أيّ حديث وأيّ منطق هذا؟! وما النجاح إلا مكافأة للمكافح على تعبه وللمضحي على إصراره، فكم من حالم لم يقترب من حلمه قيد أنملة لاستسلامه ورضاه بأحلام اليقظة، فإن مدى قربك من حلمك يقاس بمدى سعيك نحوه ولا شيء غير ذلك، فما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غِلابا.

إن السر الحقيقي وراء النجاح هو التفاني والإتقان، هذا هو وعد الحق تبارك وتعالى الذي أعطاه للعالمين بدون تحديد هوية أو انتماء؛ يقول عزّ من قائل: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف:٣٠].

فلأن "أديسون" أحسن عملا ولم يألُ جهدا كوفئ لأن يكون سببا في إنارة العالم وبأن تخلّد ذكراه.

وبالحديث عن توماس أديسون واختراعه ولأن الشيء بالشيء يذكر تنتشر رواية قوله أنه لم يفشل ٩٩ مرة بل تعلم كيف لا يكون النجاح ٩٩ مرة، ويقال إن عدد محاولاته كان ١٠٠٠ محاولة، وأوصل بعضهم الرقم إلى ١٠٠٠٠، بشكل عام إذا اختلفنا على عدد المحاولات فإننا نتفق حتما على وجود مفهوم التحدي والإصرار والصبر لديه، ولا أجد سببا لتعجب البعض من هذه الأعداد على كثرتها؛ فهذه هي الحقيقة وهذا هو ديدن الحياة للساعي نحو القمة، فإن كل قصة نجاح ظاهرة تُخفي وراءها عددا مهولا من المحاولات والتجارب والتدريب والبروڤات يصيب مجرد ذكرها بالملل والرتابة، فما بالك بعيشها أياما ولياليَ؟ فليس الإتقان وليد اللحظة بحال من الأحوال لكنه يتأتّى من معاناة الأيام وسهر الليالي.

لك أن تتخيل أن عزف نوتة موسيقية على الجيتار بإتقان يتطلب التدريب عليها وعزفها ٤٠٠ مرة مثلا، ٤٠٠ مرة يتخللها التعب والملل والفتور ولحظات الانهيار تارة والتفكير الجدّي في العدول عن هذه الفكرة تارة أخرى، فما تستمع إليه وتستمتع به في عشر دقائق لم يكن وليد اللحظة أو نتج من تخيّل العازف أو كان التدريب عليه لثوانٍ تصاحبها الموسيقى التصويرية المحفزة كما ترى في أفلام السينما، لكنه نتيجة لشقاء ومعافرة لأيام طوال.

يؤسفني أن أخبرك بالحقيقة - وهي الحقيقة المرة بالتأكيد- أن ذلك يحدث حتى وإن كنت تعمل ما تحبه، فالحب هنا ليس من شأنه أن يلغي تعب التدريب، لكنه الدافع للاستمرار فيه ومجابهته.

الآن لك حرية الاختيار في أن تنحاز لأي القانونين منطقية على أرض الواقع، قانون الجذب أم قانون النجاح.

6 – إدراك ..

لا يتنازل الإنسان عن فكرة كونه محور الكون وأن كل ما حوله من جماد وغير جماد إنما خُلق لأجل إتمام حياته ولأجله هو فقط ولا أحد غيره، ولا يتقبل أبدا مجرد احتمالية أن يكون هو الوسيلة لا الهدف، أن يكون مجرد جزء من خطة كبيرة موضوعة لشخص آخر أو بشكل أعمّ لهدف أرقى وأسمى، ربما يكون ذلك بدافع الأنانية أو الغيرة أو الأنا غير المحدودة التي يتصف بها الإنسان دون غيره من سكان الأرض. وربما يكون ذلك غريزة من غرائز البقاء زُرعت فيه ليقاوم بها تحديات الحياة. وهي بالطبع ناتجة من درجته في هَرَمِ الإدراك، إدراكه بذاته وكنهه وكينونته، ذلك الهرم الذي تُرتب فيه الكائنات طبقا لرقيها، فيحتل قمته الإنسان ثُمَّ الأدنى فالأدنى، وبالرجوع لهذا الهرم تحدّد المعاملة بلا إفراط ولا تفريط؛ فلا تسنّ السكين أمام الذبيحة أو العكس المطلق.

يُعتقد خطأ أن من له قدرة أكبر على الإدراك هو في نعمة ويملك ميزة إيجابية تجعل حياته أفضل، بالعكس تماما فكلما زادت دائرة الإدراك والمعرفة زاد اليقين بالجهل وزاد البؤس والشقاء لمعرفة الأمور على حقيقتها المزرية؛

ستفاجأ إن علمت ما يقال عنك بشكل لن تود سماعه وراء الجدران، ستتعجب من عدد التبسمات التي تقابلها يوميا وما تحويه خلفها من ضغائن وعبوس، قدرتنا المحدودة على الإدراك إذًا هي وسيلة لتستمر الحياة. اتفق على ذلك المعنى كثيرٌ ممن صارعوا الحياة فعرفوها على حقيقتها، يقول ديستوفسكي: "أقسم لكم أيها السادة أن شدة الإدراك مرض، مرض حقيقي خطير! وإن إدراكًا عاديًا كافٍ من أجل سعادة الإنسان، وإن الذّكاء مشكلة والتفكير علّة وشدة الإدراك لعنة حقيقيّة، كلّ وعي هو مرض" .

ويضيف سيوران: "الوعي لعنة مُزمنة وكارثة مهولة، إنه الإقصاء الحقيقي، فالجهل وطن والوعي منفى".

ويوافقهم كافكا قائلا: "إذا كان هناك ما هو أشد خطورة من الإسراف في المخدرات، فمن دون شك هو الإفراط في الوعي وإدراك الأشياء".

تتجلى مشكلة أخرى في قضية الإدراك وهي المسافة بين الإدراك والحقيقة التي قد تكون خطوات وقد تكون أميالًا عديدة، تلك المسافة التي تشوّه الحقيقة وتبعد الإنسان عن الطريق القويم إذا ما لم يتخلَّ عن العناد والمكابرة، وإذا ما لم يتحلَّ بالحكمة والموضوعية، تلك المسافة التي تدفعنا

دفعًا نحو الشك الذي يوصِلنا بدوره نحو اليقين في نهاية المطاف إذا اتُّخذ المنطق منهجا في الدراسة والتفنيد.

لا يدّعي الإنسان الكمال، ودائما ما يبرئ نفسه من هذه التهمة قائلا "الكمال لله وحده" بنبرة تشي بالقناعة والرضا، ولكن لا يُسكت هذا صوت ذاته المصممة على أنه الأفضل وأنه دوما على حق وأنه الأجدر بالثقة والكسب حتى لو كان بعيدًا كل البعد عن هذه الصفات، ولا يكون ذلك إلّا نتاج إدراكه الخاطئ لنفسه وعدم إدراكه أن كل البشر يتكونون من ذات وكل الصفات لكن بنسب مختلفة، ومهما قلت صفة الشيطانية أو الملائكية لا يعني ذلك أنها غير موجودة، هي موجودة وقد تظهر في أي لحظة.

7- الحب ..

الحب هو ذاك الشعور الجلي الذي لا ينجلي ولا ينطفئ وإن طال الأمد، جذوة لا تنطفئ بهواء أو ماء أو حتى بكره، فالروح التي أحبت ليس بوسعها أن تكره، وإن أرادت أو تمنت ذلك.

الحب هو مخلوق متفرد لا تنطبق عليه قوانين الحياة، فهو يستحدث من الفراغ دون أي مسببات أو مقدمات، لا تنطبق عليه قوانين الحياة أو قوانين البشر، بل يخضع الكل لقواعده وقوانينه بكل رضا واستسلام، كثيرا ما نرى أحدهم يسطّر الشروط والأولويات غير القابلة للتنازل أو التفاوض ثم في يوم وليلة بل في لحظة نجده ينسخ كل ما آمن به سلفًا ولا ندري كيف ولا يدري هو نفسه كيف، الكيفية فيما يخضع الكل لقواعده بكل رضا.

الحب هو كل اتجاه وعكسه في ذات الحين، ولا غرابة في ذلك؛ فهو لا يخضع لقوانين الحياة، هو الدافع للحياة أو الدافع للهروب منها والداعي للسعادة في أوج عظمتها والحياة بين الكناري وحبات المطر أو المعيشة في غياهب الحُزن والحَزَن، يكسبك الحب عينا هي أقرب لعين الجمال ترى بها كل الوجود جميلا ومنظما وإن كان في منتهى السوء والعبث، والعكس بالعكس، إجمالا

وبدون إسهاب الحب عملة من وجهين، وجدار ظاهره فيه الرحمة وباطنه فيه العذاب.

يقال: إنه من كان بعيدا عن العين فإنه بعيد عن القلب، وهذه الجملة أظن أنها تنطبق على أنواع متدنية من الحب، أما بالحديث عن ذلك الحب السامي الذي يعطي الحياة معنى والعمر قيمة فالمقابل هو الصحيح؛ فكلما بعُد الحبيب عن البصر أنارت صورته في البصيرة وازدادت وضوحا.

يسكن الحبيب في القلب يرتبه ويرتب أثاثه كيف يشاء، يسيّره كيف يرى، يُدخل من يراه مناسبا ويخرج من لا يراه. يرقص فترقص الجوارح، يغني فتغني الحياة، وإن حزن يذبل الفرح وتنطفئ أنوار البهجة.

الحب هو الوتد الراسخ الممتد المتشعبة جذوره في الأرض، ذلك الوتد الذي يحمي العلاقة بين البشر من عواصف الاختلاف والخلاف وتلك الجذور التي تحتاج السقاية والاهتمام من حين لآخر.

يتربع الحب على عرش المشاعر ويحتل قمة الهرم، هرم الإحساس والإيجابية والرِّفعة، فلا يدركه أي عابر على مجتمع الإنسانية بل يدركه فقط ويتفهمه أصحاب الفكر الراقي والعقل الراجح والسمو الإنساني.

8- المرأة ..

جمال المرأة الحقيقي لا يعبّر عنه بشكل كامل نظرتها الساحرة أو صوتها النقي أو شخصيتها العنيدة أو جسدها المنحوت، مع كامل التقدير لكل آيات الجمال هذه التي لا تستمر الحياة ولا تتزن إلا بها، بل إن جمالها الحقيقي يتلخص ويتضح بمعناه الشمولي في مجرد كونها امرأة.

فمجرد أنها أنثى ومجرد التحاقها بنون النسوة يحيطها بهالة من الرقي والترفع، كما تحوطها أينما ذهبت مساحة من تلك المشاعر الرقراقة التي ربما خلقت من أجلهن، فتجد الحنان والإيثار والرحمة والمودة تارة وصفات أخرى ربما ظننت يوما أنهن بعيدات كل البعد عنها. بيْد أنك إن أمعنت النظر لوجدت أننا تعلمنا مثل هذه الصفات منهن ولا أحد غيرهن، فتجدهن تارة أخرى غارقات في مشاعر الصبر والتحمل والكظم والاهتمام والتضحية.

قالوا قديما إن وراء كل رجل عظيم امرأة، ولن أقول هنا إن وراء كل ما هو عظيم امرأة، بل إن المرأة هي يوتوبيا كل زمان ومكان، النساء هن أزهار هذا الكوكب المتفتحة على ظهره واللائي أعطينه قابليته للحياة والازدهار، فهن إن أتين إليه من الزهرة فإنما أتين لإتمام رونقه وألوانه من جهة ومن جهة

أخرى لوزن ميزان القوة والبطش بما يتصف به الآخرون، فهن يزنّ القوة بقوة أقوى منها، تلك القوة المغلفة بالضعف وهذه الأسلحة الواهنة في مظهرها والفتاكة في حقيقتها، فدمعة وحيدة منسابة من بين جفنيها الرقيقين كفيلة بأن توقف حربا ضروسا تقضي على الأخضر واليابس، ولمسة من يدها الناعمة يمكنها أن تهدئ غضب أعتى الوحوش ضراوة.

و لا أتفهم قول أحدهم إن هذه المرأة جميلة وتلك لا؛ فلا توجد امرأة ليست جميلة؛ لأن كل امرأة لها جمالها الخاص بها، فلا يوجد مقياس لقياس جمال المرأة؛ حيث إنها هي مقياس للجمال في حد ذاتها، فهي مقياس جمال الطبيعة ومقياس جمال كل ما حولها.

و أتعجب أيّما عجب ممن يكرهون وجودهن ويتمنون غيابهن بل ربما يتبرؤون منهن! أيتبرؤون من قيثارة الحب ولون الجمال وطعم الحياة! وعلينا أن نتذكر جميعا أنه وإن خلقت حواء من ضلع آدم فإن كل آدم بعدها قد أخرج من رحم حواء، وأنه وإن خلقت حواء من ضلع أعوج فبهذا الاعوجاج تستقيم الحياة.

9- قواعد الحب الأربعون ..

1- أن تستغني بمن تحب عمّن غيره.

2- أن تعيش شعورا جديدا وغريبا اسمه الغيرة.

3- أن تراه الأجمل بغض النظر عن المقاييس العالمية.

4- أن توقن أنه ليس كباقي البشر.

5- أن يكون جزءا منك لا تكتمل إلّا برفقته.

6- أن تؤثره على نفسك ولو كان بك خصاصة.

7- أن تفرح لفرحه وتتألم لألمه.

8- أن يتنازل الرجل عن كبريائه وتتنازل المرأة عن عنادها.

9- أن تؤمن بأن بازلًا نفسه في حب من يهواه ليس بمسرفٍ.

10- أن يكون شهود الحب إما انتظارًا أو حنينًا.

11- أن تقسّم حياتك لما قبل ولما بعد.

12- أن تصبح شاعرًا ولو بلا وزن وقافية.

13- أن تغبطه لأنه معه دائمًا.

14- أن يكون محفورًا في عقلك الواعي واللاواعي وما بينهما.

15- أن تلتمس له ١٧٠ عذرًا.

16- أن يؤنس وحدتك ولو بعدت المسافات.

17- أن يحكم هذا الحب على ما بعده بعدم الكمال.

18- أن يحتوي هذا الحب على كل المشاعر والروابط الإنسانية الأخرى.

19- أن يسكنك هذا الحب الثُريّا وإن كنت تفترش الثّرى.

20- أن يكون هذا الحب هو الدافع الخاص بك للاجتهاد والتحدي والحرب والسلام.

21- أن يتوقف الزمن لبرهة حين ترى من تحب.

22- أن يصاحبك في المواقف كلها، وأن يقتحم أحلامك عنوة، وأن يزاحم أفكارك دومًا.

23- أن تعشق تفاصيله الزهيدة وتنصت باهتمام لأحاديثه التافهة!

24- أن تحب ما ومن يحب وتكره ما ومن يكره تلقائيا.

25- ألَّا تستسيغ رغدًا بدونه.

26- ألَّا يصاحب الحب رتابة.

27- ألَّا يترتب عليه ندم ولا يتبعه منّ.

28- أن يكون البعيد عن العين قريبا من القلب.

29- أن تتبعه عيناك كما يتبع عبّاد الشمس الشمس.

30- أن يكون الحب هو الوتد الذي يحمي الترابط بينكما ضد عواصف الحياة.

31- أن يبلغ الحب من النقاء والإخلاص بأن يكون هو الدافع الوحيد والمدفوع إليه في آنٍ واحد.

32- أن يأتي الحب دون إشعار مسبق.

33- أن يكون حبًّا غير مشروطٍ.

34- أن يضيف وجوده معنى جديدًا لكل شيء.

35- أن يشكّل الحب الجزء الأكبر من إيجابيتك.

36- أن تتمنى قلبا أكبر ليتسع لكل هذا الحب.

37- ألَّا يكون الحب بالمجهود.

38- أنك إذا تملكت من تحب تكون قد تملكت جزءًا من الجنّة.

39- ألَّا ترى في حِسان الصبايا إلا طيفها.

40- أن تجعلك مريم تحب كل المريمات.

10- ميثاق ..

الزواج في أصله وسيلة وليس غاية، وسيلة لبلوغ غاية أسمى، وسيلة لبلوغ السعادة والنجاح والطمأنينة والحب في أرقى درجاته، وإلا فإنه زواج منقوص المعايير بحال من الأحوال.

خلق الله الروابط الاجتماعية بين البشر؛ حتى لا يتفكك المجتمع الإنساني ويسير كلٌّ منا على حدة بمفرده، فهذا يجوب الصحراء وذاك يركب البحار لا يعلم إلى أين هو ذاهب ومن أين أتى، فخلق الله الصداقة والمحبة والأخوة والأمومة، وعلى رأس هذه العلاقات الزواج، كيف لا وهي تلك العلاقة التي إذا صلحت صلح سائر المجتمع وإذا فسدت انهار المجتمع واتسم بالعشوائية؟! فاستحق الزواج لذلك وعن جدارة لقب الرباط المقدس.

هو ميثاق مشاركة من الطراز الأول، مشاركة في الرؤية والحلم والهدف فإن رؤية الهدف ولو بَعُد بعد مرمى البصر يسهل المضي في الرحلة وييسر تجاوز حواجز وعقبات الطريق، هذا التجاوز في حد ذاته يحتاج للمشاركة، تجاوز الزلّات والتنازلات وتجاوز صعوبات وضغوطات الحياة، لا يمكن ذلك لإنسان بمفرده؛ فإن الذئب يأكل من الغنم القاصية.

ولا يتأتّى ذلك إلا بالتقبّل، خلقنا الله مختلفين، وهذه هي سنة الخالق في خلقه، وبهذا يتحقق التنوع، ومن التنوع يأتي التكامل.

ولا يؤدي الاختلاف إلى الخلاف إذا حَسُن استغلاله بل في حقيقته هو المؤدي للتعددية، تعددية الفكر والرأي والذوق، وهذا بدوره يؤدي للإثراء والغنى، وذلك ما نحن في أمسّ الحاجة إليه، مدفوعين بنقصنا وعدم شمولية نظرتنا مهما اتسعت فالكمال لله وحده، ولعل هذا التقبّل متبوعا بالتشارك هو ما يجبر عجزنا.

و من شروط نجاح هذا الميثاق التوافق، ولا أتحدث هنا عن التوافق المادي؛ فالتوافق المعنوي من حيث الأهمية يسبقه بأشواط. أتحدث عن توافق النظرة الفلسفية للحياة، كل منا له هذه النظرة الخاصة به التي يمشي بناءً على تعليماتها في أروقة وممرات الدنيا، والحديث عن تفنيد هذه النظرة يطول ولكن بشكل عام هي المحرك الأساسي لنا والمحددة لكيفية هذه الحركة، بشكل أكثر تفصيلا التوافق الاجتماعي وتوافق الاهتمامات، الأولويات وأسلوب الحياة.

والتوافق هنا لا يعني التشابه والسيميترية، بل إنه توافق الهدف ولو مع اختلاف الطرق المؤدية إليه.

و شرط تطبيق هذه الشروط أن تكون غير مشروطة، فقد خلق الله لخلقه أزواجا ليسكنوا إليها، ولا يوجد شرط لأن يسكن الإنسان بيته!

بيته الذي يدنو إليه كلما ضاقت به الدنيا، بيته الذي يحنّ إليه كلما أحس بالغربة. وما يلخص كل ما قيل وكل ما يقال في هذا المقال قوله عز من قائل:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم-٢١]

11- ختام الإناث ..

أتعجب أيّما عجب ممن يتشدّقون بالدفاع عن العفة والطهارة وهم من يفتقدون طهارة العقل والتفكير ويتمتعون بضيق الأفق وقلة الحيلة.

يُجملون طهارة الأنثى وعفافها وحياءها المضروب به المثل في عمل هو أقرب للبربرية والهمجية الشعواء منه إلى الصواب أو حتى إلى المنطق. بحثت كثيرًا عن سبب قد يبرر مثل هذه الجريمة ويفسر غرابة إصرار هؤلاء على معتقداتهم ولكن كل المحاولات باءت بالفشل، ليس فقط بالفشل بل بإثبات مدى شناعة فعلهم واضمحلال فكرهم، ومن منطلق التمس لأخيك سبعين عذرا، تخيلت مجازا أن عذرهم قد يكون دينيًّا أو علميًّا ، لكني وصلت في نهاية المطاف إلى براءة الدين والعلم على السواء من هذا الفعل القميء براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

لا يخلق الله شيئا عبثا:

الجلد المستأصل في عملية ختان الذكور أو ما يعرف بالقلفة Foreskin يكون قد أنهى مهمته بعد الولادة مباشرة؛ حيث إنه يعمل على حماية العضو

الذكري حديث النمو والتطور داخل الرحم، هذه القلفة هي نعمة داخل الرحم ونقمة خارجه؛ لكونها سببًا مباشرًا في كثير من الأمراض.

أجرت منظمة الصحة العالمية WHO دراسة في أوغندا وجدت فيها أن مرض نقص المناعة المكتسب AIDS ينتشر بنسبة أكبر بين الذكور الغُرل أو غير المختونين، وأعلنت على إثر ذلك ختان الذكور كوسيلة عالمية للحد من انتشار المرض. وقياسا على ذلك الكثير من الأمراض المنتشرة جنسيا STDs كالزهري والسيلان وكذا فيروس الورم الحليمي البشري HPV المسبب الرئيسي لسرطان عنق الرحم وسرطان القضيب الذي تزيد نسبة الإصابة به لثلاثة أضعاف الذكور الغُرل.

كما يسبب عدم ختان الذكور الإصابة بأمراض الشَبَم Phimosis والجُلاع Paraphimosis.

هذا مقتطع من الأمراض والمشاكل الصحية الناتجة عن عدم ختان الذكور، والآن ما هي تلك الناتجة عن عدم ختان الإناث؟

يقول أصحاب هذا التوجه أنه يؤدي للإصابة بالتهابات مجرى البول ووجود الروائح الكريهة بين ثنايا الجلد، أقول لهم قولًا واحدًا إنما ذلك ليس لانعدام الختان ولكن لانعدام النظافة الشخصية!

و إن كان هذا الجزء مسببا للأمراض أو على الأقل غير مهم مع عدم وجود أهمية له قبل الولادة على عكس الحال في الذكور، إذن لمَ وُجد؟ أسبب وجوده أن تُعذّب البنات نفسيًّا وجسديًّا بإزالته؟! لا يخلق الله شيئا عبثا.

لغة:

ورد في الصحيحين عن عروة عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة: "ابن أختي إنّا كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار. فقلت: يا خالة، ما كان يُعَيِّشُكُم؟ قالت: الأسودان (الماء والتمر).

لا غرابة في أن ينعت التمر بالأسود فهذا لونه، لكن كيف ينعت الماء بهذا وهو عديم اللون؟ كذلك كانت تفعل العرب في الشيئين يكون أحدهما مضمومًا مع الآخر فإنهم يسمونهما جميعًا باسم الأشهر منهما.

وأيضا عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إذا التقى الختانان وتوارت الحشفة فقد وجب الغسل" رواه ابن ماجه وصححه الألباني. قيل الختانان والمقصود موضع ختان الذكر وموضع خفاض الأنثى حيث يطلق على ختان الإناث في اللغة الخفاض كما قال النبي

عليه الصلاة والسلام لأم عطية: "إذا خفضتِ فأشمي ولا تُنهكي..." وسوف نتطرق لهذا الحديث لاحقًا.

إذن حين يقال الختان في اللغة فإن المقصود هو ختان الذكور لا الإناث، إنما قدّمت بذلك كله لأعرّج إلى حديث صحيح آخر أُتُّخذ حجّة في قضية ختان الإناث هو حديث خصال الفطرة، قال صلى الله عليه وسلم: " خمس من الفطرة، الختان والاستحداد وتقليم الأظافر ونتف الإبط وقص الشارب" رواه مسلم.

قيل: الختان: ولو قُصد ختان الإناث لقيل الخفاض أو ختان الإناث؛ لأن الكلمة جاءت معرّفة والتعريف في اللغة يفيد التخصيص، ولو جاءت نكرة لأفادت العموم؛ ختان الذكور والإناث.

أما فيما يخص الحديث السالف ذكره حيث روى الحاكم في مستدركه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لأم عطية: "يا أم عطية اخفضي ولا تُنهِكي، فإنه أنضر للوجه، وأحظى عند الزوج" صححه الألباني. وهو الذي لا ينطق عن الهوى فلم يحرم الشارع الحكيم في دينه القويم الصالح لكل زمان ومكان التدخل الجراحي في هذا الموضع من جسد المرأة لإمكانية الحاجة إليه في الحالات المرضية التي لا تعالج إلا بالجراحة كحالات تضخم الأعضاء

التناسلية الأنثوية Clitromegaly وما نحوها، والمنوط بهم تشخيص ومعالجة ذلك -إن وجد- هم الأطباء والجراحون المختصون ولا أحد غيرهم. وإن كان هذا الفعل مستحبا دينيا لأمر به النبي عليه الصلاة والسلام زوجاته وبناته، وهو ما لم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم.

أيمكننا تعديل خلق الله الطبيعي غير الخارج عن القاعدة- القاعدة التي وضعها الله في هيئة خلقه- لتستقيم الحياة؟ أعجز الخالق تبارك وتعالى أن ينشئ خلقه في صورة تستقيم معها الحياة؟ حاشاه سبحانه وتعالى. أيمكن للمخلوق أن يحسن ويعدل خلق الخالق؟ أي حديث وأي منطق هذا؟!

ثم ما الذي يدفع البنت للعفاف والحياء والنقاء؟ أهذا الاعتداء الصارخ على ما وهبها خالقها إياه من حق؟ أو أن التغيير في خلق الله هو السبيل؟ لا والله فإنه لا يحب المعتدين كما قال تعالى، كما أن ذلك وبلا شك ينهي حياتها النفسية والاجتماعية؛ فهي عملية ختام قبل أن تكون ختانًا.

أم أن ما يدفعها لذلك حسن التربية وطيب المعاملة وأن تنشأ في حياة معتدلة متزنة، قوامها الدين والأخلاق الحسنة، يقول عليه الصلاة والسلام: "فاظفر بذات الدين تربت يداك" فهذا هو الأساس وما سواه دونه.

أخيرا أتساءل من أعطانا الحق لننصب أنفسنا حكاما على الخلق؟ ومن نكون نحن لهذا؟ منذ متى استعبدنا النساء وقد ولدتهن أمهاتهن حرائرَ؟ منذ متى امتلكنا صكوك العفة والطهارة والاحترام نوزعها على من نشاء كيفما نشاء ووقتما نشاء؟ نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا.

12- نضارتي ..

نضارتي هي الشباك اللي ببص منه عالحياة، من خلالها بشوف كل حاجة أوضح وعلى حقيقتها، في أول علاقتنا مكناش مرتاحين مع بعض؛ كانت مسؤولية جديدة في حياتي، بسببها شكلي اتغير، مابقتش بتحرك بحرية زي الأول وحسيت إني بقيت مقيّد بيها، لكن مع الوقت اتضح لي أن يمكن بقيت مقيد بسببها بس من غيرها الحياة ماكنتش هتبقى أحسن.

يمكن العكس هو الصح، يمكن شكلي بقى أحسن، يمكن التقيد في الحركة دا علمني أركز وأفكر في كل حاجة قبل ماعملها.

ناس كتير لابسين نضارات بس ماحدش معاه نضارة زيها ودا اللي مخليني مميز.. هي خلتني مميز.

معايا من أول يومي لغاية مابسبها عشان أنام.. وهي كمان ترتاح، ترتاح من اللي شافته معايا طول اليوم، تعب الشغل وزحمة المواصلات وضغط الحياة.. حاسه بيا من غير ما احكي لها ما هي شايفة معايا كل حاجة، وحتى لو ماشفتش كل حاجة فهي أول واحدة بتفهمني من نظرة عيني والوحيدة اللي مابخبيش عنها دموعي عشان أكيد عارفة سببها. قبل ما اعرفها ماكنتش

مدرك إني محتاج حد يشوف معايا كل حاجة، حد يعيش معايا تفاصيل حياتي، اكتشفت أن حياتي كانت ناقصة كتير من غيرها، كانت ناقصة المشاركة، مشاركة اللحظات الحلوة والوحشة مشاركة كل حاجة، ناقصة العطاء والاهتمام بحد عايش معايا أكتر من أي حد تاني، ناقصة الافتقاد والحنين لما نبعد فترة عن بعض، ناقصة الغيرة لما أي حد يقرب لها.

وبمرور الأيام بقيت بهتم بيها أكتر ما بهتم بنفسي، أطمن إنها في مكان آمن قبل ماروح مكان تاني من غيرها، أتاكد أن ماحصلهاش حاجة لو حصلنا مشكلة قبل ماطمن على نفسي، مانا مش هقدر اشوف من غيرها.

وزي ماهي نضارتي اللي بشوف بيها كل حاجة أوضح هي كمان مرات بتكون مرايتي اللي بتوريني نفسي على حقيقتي من غير أي زيادات أو مجاملات، مرايتي اللي مابخبيش عنها حاجة، اللي عارف إنها خايفة عليا وهتقولي اللي في مصلحتي حتى لو ماعجبنيش، ودا اللي مديني الأمان. العوائق اللي عملتها لي نضارتي من وقت ما عرفتها واللي كنت بتضايق جدا بسببها زي مثلا إنها تشبر كل ماشرب حاجة سخنة ومشوفش حاجة في المطرة بسببها وإني ماقدرش أسند أو أجري وانا لابسها ... كل الحاجات دي اللي كانت مصدر إزعاج ليا

بقيت دلوقتي مصدر ضحك ومتعة وكمان بقيت بفتقدها لو نضارتي مش معايا.

في الآخر لقيت إنها مجموعة صفات أو package على بعض، فيها الحلو والوحش، مافيش حاجة كاملة الأوصاف في الدنيا، الفكرة إنك تكون عارف إنك ممكن تتعايش مع الوضع كله بكل صفاته، وبعد كدا لازم تتقبل الوحش عشان تستحق الحلو.

13- المجهر ..

تخدعنا المشاهد تحت المجهر بهيئتها الجديدة الكبيرة الواضحة المغايرة لطبيعتها متناهية الصغر. وقد تصدّق هذه الهيئة الجديدة وتؤخذ على محمل الجد إذا اجتزئ هذا المشهد من سياقه واقتطع من نسيجه. للمجهر أنواع؛ فمنها المجهر الضوئي والمجهر الإلكتروني وكذا المجهر الزماني والمكاني والذاتي وغيرها الكثير من المجاهر التي إن لم ندرك أننا نرى المشاهد من خلالها وقعنا في خطإٍ تقييمها واستيعابها.

نعيش حقبة زمنية نرى أحداثها بأعيننا وتتطرق أخبارها إلى مسامعنا وتؤثر تغيراتها في حياتنا بشكل أو بآخر، وما سبقها من حيوات على هذه الأرض ما هي إلّا سطور على صفحات كتب التاريخ وقد تُفقد فلا يعرف عنها إلا أنها قد ولّت، تدفعنا تلك الحقيقة للشعور بأن الحياة ما هي إلا حياتنا التي نحياها وما عداها مجرد حبر على ورق أو أساطير الأولين، وكأننا لن يتلونا بعد أعداد قليلة من السنين أشخاص آخرون يفكرون فينا كما نفكر فيمن سبقونا ويأخذون بدورهم أماكننا الشاغرة،

ذلك أن لم نخطُ خطوة للوراء وطالعنا المشهد بدون المجهر وأدركنا تناهي صغر نقطة وقتنا في بحر الزمان المتلاطم الأمواج، زمان الدنيا من جهة وزمان الخلود من جهة أخرى. ولا يختلف خداع مجهر المكان كثيرا بل هو أكثر غرابة وهو مدعاة لمزيد من الحيرة، فإن كانت النظرة المجهرية تخدعنا بالمقارنة بأحجام المجرات والفضاء من حولنا فإن النظرة المقابلة أيضا خادعة بالنسبة لأحجام الجزيئات والذرات، يطرح هنا سؤال نفسه بإصرار أنحن أقرب إلى المخلوق الأصغر المطلق أم إلى الأكبر المطلق؟ وهل يوجد أصلا ما هو أصغر مطلق أو أكبر مطلق؟! إن لم يستطع الإنسان الإجابة على هذا السؤال وهو المتعلق بنفسه وما شابهه من المخلوقات فأنّى له أن يسأل عن ماهية الخالق وكيفية الخلق؟ ألم يأن له أن يدرك قيمته وقيمة حياته الدنيا مكانا ومكانة؟

يأخذنا ذلك إلى منحى آخر هو مجهر الذات، يعيش الإنسان مع ذاته جل أيامه، ينام ويقوم ويفرح ويحزن ونظره مثبت على ذاته، يجعله ذلك يظن خطأً أنه محور الكون، والكل من إنسان وحيوان ونبات وجماد إنما خُلق لخدمته وتسيير حياته هو فقط وما عداه استثناء، ولا يستوعب أبدا فكرة

أنه مجرد جزء من كل، أو أن مثله كمثل كثيرين مروا من هنا أمس وأكثر سيمرون غدا، وتكون عاقبة ذلك الضرر والضرار والندم ولو بعد حين.

على طالب العُلى أن يتحلى بالشجاعة والإقدام، وأن يخرج حتى ولو مجرد بنظره عن حدود مجهره الذي قد يكون مفروضا عليه، مجهر راحته ومجهره المعرفي والثقافي والمجتمعي، فالحياة خارج المجهر واسعة.

14- تساؤل ..

ساورني سؤال على حين غرة، سؤال هو في ظاهره سؤال بسيط يسهل الإجابة عليه، لكن ما فاجأني هو ترددي في الإجابة وطول مدة التفكير فيها.

من الذي يخط هذه الأسطر الآن؟، من الذي يراها بعينه وينسجها في وجدانه؟، من أنا؟! يعتقد كل منا أنه يعلم حقيقة نفسه حق العلم ويعرف كنهها حق المعرفة، وكثيرا ما يكون ذلك محض مبالغة أو حتى تخيل.

داخل الإنسان محيط واسع من البحار العاتية المتلاطمة الأمواج وأخرى هادئة كنسيم الصباح في يوم مشرق، المختلف بين البشر هو مجرد النسبة والتناسب بين تلك التباينات وأيها مرئي تحت الضوء وأيها لم يكتشف بعد، ولا ينفي ذلك حقيقة وجودها بل هي كامنة تنتظر فرصة الظهور تحت ضوء المعرفة.

يُعرف المرء على حقيقته في المواقف المقابلة لما يوصف به، فبالتضاد تتضح الأمور، وفي أحيان الفوز على النفس في هذا الصراع الأبدي، فلا يُعترف بالحِلم والرحمة إلا عند المقدرة وتقيم القوة بكظم الغيظ، ويعلو صوت الحكمة بحكم النفس عند الغضب،

ويعرف التواضع بكسرها في عليائها وإنما الصبر عند الصدمة الأولى، فلا تغرنك رحمة الضعيف حتى تراه قويًّا، ولا تخدعنك ابتسامة السائل حتى يصل لمسألته.

كثيرا ما ننتقد أشخاصا بأشد العبارات وألذع الانتقادات ثم يصيبنا الدور في دورة الحياة المفرغة وفي أيامها الدُّوَل، ولا نلبث إلا أن نجد أنفسنا في أماكنهم الشاغرة ونقوم بأدوارهم المنصرمة بنفس الأداء الذي أنكرناه عليهم أشد الإنكار وعاتبناهم عليه حق العتاب، بل ربما أخذنا نتشدّق وننظّر ونسترسل في الحديث لنرتدي ثوب الأستاذية والحكمة وما ذلك إلّا لأننا لم نتصور المشهد إذا تبادلنا الأدوار وإذا صعدنا المسرح وتركنا صفوف الجمهور.

في كثير من الأحيان تضع لنفسك قالبًا ونموذجًا لنوع من أنواع الشخصيات وطريقة التعامل مع المواقف المختلفة ولا تلبث أن تواجه هذه المواقف بشكل واقعي وتجدك تتعامل معها بشكل مختلف تماما عما كنت تظن وتكتشف نقاطًا مضيئة داخلك لم تكن تلقي لها بالًا أو تعلم بوجودها من الأساس وربما شعرت سابقًا بالغيرة والغِبطة تجاه أشخاص آخرين يتمتعون بها ويستغلونها أفضل استغلال، وما كان ذلك لو أنك أطلقت لنفسك العنان

باكرًا وتركتها لسبر أغوار الحياة واستكشاف خباياها وقواعدها بالمعايشة والتجربة ليس فقط بالمراقبة عن بُعد.

وإن شعرت يوما بعدم ملاءمة الطريق لك فلا ضير، فإن عدم ملاءمة الطريق لا يعني بأي حال من الأحوال انعدام الطرق، فقط اخطُ خطوة للوراء ثم انطلق مرة أخرى باحثا عن قدرك.

15- حياة الظل ..

في الدنيا أناس كُثُر يعيشون، بعضهم يعيش في الضوء وبعضهم يعيش في الظل، بعضهم فضّل الظل باختياره وبعضهم اختار لهم الظل أهل الضوء.

تعددت الأسباب والنتيجة واحدة، ربما ذلك خوفا منهم أو طمعا فيهم أو لنية حسنة أساسها عقيدة فاسدة، هي قطعا عقيدة فاسدة علم أهلها ذلك أو لم يعلموا، فلا توجد عقيدة صالحة تدعو لأن يجبر شخصٌ شخصًا آخر لأن يتخفى ويكمن بعيدا عن أنظار العالم مهما قُدّر لهذا الشخص من مقومات الحياة زادت أو نقصت، فما دام قد خُلق إذن فهو صاحب قيمة، فلا يخلق الله شيئًا عبثًا.

و ربما يعيش البعض في أغوار هذا الظل رغما عنهم فلم تترك لهم الحياة اختيارًا آخر، من باب المروءة إذًا ألَّا ينشغل عنهم سكان الضوء ولا ينسوهم وبالطبع لا يتناسوهم، تعجّ قاعات الاجتماعات ومنصّات الحديث بأهل الضوء أصحاب الأزياء الأنيقة والشعر المصفف وغالبا ما يُنسى أن وراء كل ناجح منهم يقف جيش من أهل الظل، من أمٍّ ضحت براحتها لأجل تَنْشِئته نشأة تجعله شخصًا قويمًا ومثالًا يُحتذى به، ومن أب ضحى بسعادته لأجل

إسعاده وتوفير سبل حياة تؤدي به إلى ما هو فيه الآن، وربما من إخوة ضحوا بنصيبهم في الحياة ليستثمروه في هذا الأخ الذي عدّوه مشروع العائلة القومي، ومن غيرهم الكثيرون من أهل الظل الأوفياء أصحاب قيم الإيثار وإنكار الذات مما يجعلهم في مصافّ الأقيم من البشر.

ويجب ألّا نتغافل أن من أكثر الدعاة لحياة الظل هو الفقر، الفقر الذي يجبر الكثير من أصحاب المنح والهبات الربانية على إهمالها وتجاهلها لتزيلها قائمة أولويات واحتياجات الحياة بالنسبة لهم، وأحيانا لا يكون الفقر المادي فقط هو الجاني بل أيضا الفقر الثقافي والمعرفي، ومثال على ذلك أنه ما زال وأد البنات مستمرا حتى يومنا هذا؛ إن لم يكن وأدهن بأجسادهن فهو وأد شخصيتهن وفكرهن وقدراتهن، واجترءوا على الدين واتهموه بأنها تعاليمه وكان رأي الدين جليًّا واضحًا "النساء شقائق الرجال".

تمتلئ كتب التنمية البشرية عن الذين نجحوا، وتعجّ كتب الأدب بقصص الحب والذين عاشوا لوعة الحب معا ولكن لم تذكر تلك الكتب شيئا عن الذين أحبوا ولم ينالوا، الذين لم ينالوا من الحب سوى مرارته، والذين اجتهدوا ولم ينجحوا ولا يُنقص ذلك من عزيمتهم شيئا، فقط لم يحالفهم

التوفيق ولم يساعدهم الطالع فلم يكلَّل تعبهم بالنجاح وربما ينتظرهم فصل آخر منه...

من الممكن أن تجد نفسك تحيا في الظل رغما عنك، لكن استمرارك في الظل أو الخروج منه هو حتما اختيارك طبقا لرؤيتك للحياة وأولويتك بها.

أفردت لهذا المعنى هذه السطور فقط لنتذكر دائما أن سكان العالم كُثر، ليس فقط من نراهم على أغلفة المجلات أو في الشوارع والميادين بل يوجد أضعافهم في الظل لا يظهرون كثيرًا، علينا أن نتذكر هذا دومًا لنتعلم منهم ولنعترف بجميلهم علينا، تعددت أسبابهم لتفضيل هذا النوع من الحياة؛ فمنهم من يلجأ للظل لخوفه من مواجهة الناس أو لخوفه من مواجهة نفسه، ومنهم من يختار الظل وطنًا لهدف أسمى وأرقى من أهداف أهل الضوء حتى.

16- فاضي؟! ..

أوجه هذه السطور للشخص "الفاضي" أو الذي كذلك يظن، الشخص الجالس في الطرقات المقيم في المقاهي والكافيهات.

(ساعة وساعة) لا أنكر، و(إن لنفسك عليك حقًّا) ولا شك، ولكن هل هذا فقط حق نفسك عليك؟ أم أن إعلاء شأنها واستعمالها فيما خلقت له هو جزء من هذا الحق أيضا.

يبلغ العقل أقصى نموه التشريحي في سن الثامنة عشرة، أي النمو الكمي ثم يبدأ بعد ذلك النمو الكيفي، وهذا يعتمد عليك بالكليّة، فيكون هذا النمو الكيفي باكتساب المهارات المختلفة وبالقراءة والاطلاع في شتى المجالات العلمية والأدبية والفنية لفهم البقعة الكونية والزمنية التي تعيش بها.

يقال إنه كلما زاد علمك، زاد علمك بجهلك، وفي هذا السياق أيضا كلما زاد فراغك زادت المسئولية الواقعة عليك في استغلال هذا الفراغ، فنفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل وهي بطبعها أمَّارة بالسوء، وهل ما نرى من ضياع الكثير في براثن المهلكات ومن تجنيد البشر في كتائب الدم إلا نتاج هذا الفراغ الغير موجّه توجيها صحيحا؟

استعمال نفسك فيما خلقت له وهو إعمار الكون هو من حق نفسك عليك أيضا، فيزيد هذا من قيمتها ويعلي شأنها بين أقرانها، وإعمار الكون هو مصطلح عام يشمل كل طرق الإيجابية والإحسان لكل ما هو حولك وأنت أيضا، فأنت جزء لا يتجزأ من هذا الكون بل أنت الجزء الأساسي والمحوري فيه، فإعمار نفسك تثقيفيًّا واجتماعيًّا وبدنيًّا أيضا هو من إعمار الكون، ثم إعمار ما حولك بعملك أو بالتطوع إن كنت لا تعمل ولك من الفراغ ما يسمح، هذا الإعمار سيشعرك بقيمة نفسك وسيعطيك معنى غاية في الأهمية وهو أنك لست مجرد إضافة عددية للمجتمع البشري.

إن كان لك من الفراغ ما تصفه فأنت من أغنى الناس، فغيرك يدفع الأموال ويضحي بها للحصول على هذا الفراغ لاستغلاله في أفعال تضيف له، هذه الأفعال التي يمكنك القيام بها بدون أي تضحية.

ولا يسعنا أن نتحدث في هذا الصدد دون تذكّر أننا محاسبون، فهذا الوقت الذي نحن مغبونون فيه ليس حقًّا مكتسبًا لنا نستخدمه كيفما نشاء، لكنه أمانة خلقت وأعطيت لنا وسنسأل فيمَ أفنيناها؛ فلنعد إجابة تليق بقدر السؤال والسائل.

ليس من المطلوب أن تكون وزيرًا أو سفيرًا ليكون لوقتك قيمة، فهذه المناصب الكبيرة شأنها شأن الكثير من الأعمال كبيرة كانت أو غير ذلك، هي فروض كفاية للمجتمع يكفي أن يقوم بها بعض الأفراد، وبمجرد قيامك بأيٍّ من هذه الفروض فقد أكسبت وقتك القيمة المضافة المطلوبة، فهذا بمثابة فرض كفاية للمجتمع وفرض عين لنفسك.

وأقول لمن يزعم الفراغ: قبل أن تحكم على نفسك بهذا، هل قرأت عبقريات العقاد أو روايات ديستوفسكي؟ هل اطلعت على لوحات دافنشي أو مايكل أنجلو؟ هل قرأت عن الثقب الأسود أو البانج بانج؟ هل تعلمت لغات العالم كلها؟ هل تعلمت السباحة والرماية وركوب الخيل أو غيرها من الرياضات؟ هل تعلمت التجويد أو تفقهت في الدين؟ هل حفظت ألفية ابن مالك؟ وإن سألتني معاندا: وهل فعلت أنت ذلك كله؟ سأقول لك بابتسامة عريضة: أنا مش فاضي.

17- تعلمت ..

١٠٠ مائة يوم من العزلة، أو بالأحرى يوم واحد مكرر مرة، ربما كان ذلك بقصد أو من غير قصد، ربما بقصد التدريب على تكرار نفس الأحداث عشرات المرات بدون دون الإصابة بالملل أو الرتابة، أقول ذلك لأن هذه الفترة العصيبة إنما هي في الأصل كانت بمثابة تدريب مكثف لمهارات وأساليب عيش سيتم اللجوء إليها في وقت تقل فيه رفاهية الاختيار لأقل درجاتها، وربما ليس بقصد إنما هذا هو ديدن الحياة بذلك الزي المموه.

تعلمت كثيرًا من هذه الأيام والليالي الطوال، تعلمت مثلا أن كل شيء ليس بالضرورة أن يكون في حقيقته كما يبدو عليه بل يمكن أن يكون أكثر أو أقل في صفته أو حتى مغايرا بالكلية عن سمته الظاهرة؛ فكثيرًا ما رأيت عين الشفقة وراء نظرة القسوة، وكثيرًا ما سمعت صوت الرحمة وراء نبرة الوعيد.

تعلمت أن كل وقت سيمضي مهما طال وكل موعد سيأتي مهما بعُد، كنت أشعر أني دخلت في فجوة زمنية أو في ثقب أسود توقف فيه الزمن عن المضي قدما، ما كان يطمئنني هنيهة أن عقارب الساعة ما زالت تتحرك، وما

زالت الشمس تدور بين المشرق والمغرب، وإن كان الزمن يمضي فإن كيفية مضيه كانت هي العقبة، العقبة التي انتظرنا طويلا حتى تزول؛ فهناك اليوم كألف سنة مما تعدون.

تعلمت أن في الإنسان قوة كامنة وطاقة هائلة يهملها أو لا يعلم أصلا بوجودها، فعلى سبيل المثال لا الحصر أن قدرته على التحمل تفوق وتبعد كثيرًا عما يظن، واستطاعته على التكيف والتعايش مع الظروف المغايرة والمقابلة لطبيعة معيشته الأصلية وإمكانيته على تغيير نمط حياته التي نشأ بها وتعود عليها وظن خطأً أنه لا مفر له منها ومستحيل أن يفارقها ممكنة وليست ضربًا من الخيال كما يعتقد، كل ما يحتاجه فقط هو الإيمان القوي بنفسه أولا والإرادة الصادقة والصبر ثم الأخذ بالأسباب.

كان يشغلني كثيرًا بعد فترة الإعداد سؤال: "ماذا تعلمت من الفترة السابقة؟" وسمعت حينها كثيرًا من الإجابات المتباينة وكان الزملاء يعددون الإفادات بعزة وفخر بأنفسهم، حتى الذين لم تسعفهم الكلمات والذاكرة لاحظت أنا هذا التغير فيهم من طريقة الحديث وأسلوب التفكير واختلاف الشخصية.

ومما حدث لنا جميعا هناك وبدون استثناء هو اختلاف وانخفاض سقف الأحلام والتوقعات بشكل ملحوظ، وهذا جعلني شخصيًّا أشعر بمن يمرون بمثل هذه الظروف بشكل عملي، فكنا ننتظر الطعام بغض النظر عن نوعه من شدة الإرهاق وننتظر وقت الراحة حتى ولو لدقائق، ومما لا شك فيه قد أدى ذلك في تغيير نظرتنا للواقع وأعاد ترتيب أولوياتنا فما كان مهما ولا غنى عنه فيما سبق استمرت الحياة بدونه الآن!

وجدت كيف يمكن أن تحظى بأخ لك ليس من جلدتك يكون خير سندٍ وعونٍ وقت الحاجة إليه دون أن يتوقع ردًّا أو مقابلًا، كيف أن جمال الصحبة وحسن العشرة يكسران صعوبة الأيام. إجمالًا أحسبها تجربة قد ساهمت وبشكل لا يستهان به في إعلاء الهوية وسمو الوجدان.

* عن الفترة التي قضيتها في كلية الضباط الاحتياط / د153

18- أسطورة ..

تقول الأسطورة إن "الفلسطينيين باعوا أرضهم" ويردد هذه الإشاعة أناس هم بعيدون كل البعد عن أروقة التاريخ والسياسة حتى أضحت هذه التهمة عالقة وللأسف في أذهان كثير من الناس لدرجة أنها صارت شبهة لكل أبناء الشعب الفلسطيني الحر فتصور البعض خطأً أن البيع وعدم النزاهة من صفاتهم، وهذا والله ليس بحق ولا يمت لهم بصلة من قريب أو بعيد، فهذا ليس من شيمهم الحميدة التي رأيتها فيهم ولمستها منهم عن قرب. فهم أهل الجود والكرم والإيثار والتضحية ومن يكون كذلك غيرهم وهم من علموا العالم معنى الصمود والتحدي والكفاح، الكفاح من أجل قضية تختل فيها موازين القوى كثيرًا ولكن لم يفت ذلك في عضدهم قدر أنملة بل زادهم جَلَدًا وصلابة وإصرارًا فإن يد الله مع الجماعة ومهما طال الليل فلا بد من بزوغ الفجر.

كانت أرض فلسطين وسوريا ولبنان والأردن تحت حكم الباب العالي، كانت أرضا واحدة تسمى بلاد الشام أو سوريا الكبرى وبذلك كان للمواطن القاطن في لبنان مثلا الحق في التملك في فلسطين.

خلال الحرب العالمية الأولى [١٩١٤- ١٩١٨] وبسبب تهاوي الرجل المريض - الدولة العثمانية- عمد الحلفاء بعد احتلالهم منطقة الهلال الخصيب متضمنة بلاد الشام إلى تقسيمها فيما بينهم من خلال اتفاقية سايكس بيكو [١٩١٦] ونصت الاتفاقية على أن تخضع سوريا ولبنان للاحتلال الفرنسي والأردن وفلسطين للاحتلال البريطاني وبذلك أصبح الكثير من الملّاك المتملكين في فلسطين يعيشون في بلد وأملاكهم في بلدٍ آخر، فانتهز اليهود الفرصة وعرضوا الأموال الطائلة ببذخ شديد لشراء الأراضي في فلسطين ونجحوا للأسف في هذا المسعى. وما زالت أسماء العائلات البائعة مسجلة ومعروفة حتى الآن، وهذا لا يتنافى مع وطنية وعروبة وانتماء أي شعب فكل مجتمع فيه الصالح والطالح ومن غير المنصف أن تعم السيئة.

كما أن جزءًا كبيرًا من الأرض التي آلت إلى اليهود كانت من أراضي الدولة كالطرق والمنشآت العامة، تلك التي كانت تحت تصرف الانتداب البريطاني الذي سلمها لليهود بمجرد وصولهم لفلسطين تنفيذا لوعد من لا يملك لمن لا يستحق [وعد بلفور-١٩١٧].

حتى عام ١٩٤٧ لم يتملك اليهود سوى ٨,٨ ٪ من الأرض، 7/8 هذه المساحة حصلوا عليها من غير الفلسطينيين ومن حكومة الانتداب أما الـ 1/8 الباقي

فهو ما قد تم شراؤه من الفلسطينيين تحت وطأة القوانين المجحفة التي سنّت خِصِّيصَى من الإنجليز بغرض الضغط الإداري والاقتصادي لإجبار الفلاحين الفلسطينيين لترك أراضيهم، وهذا ليس مبررا لما حدث ولكنها الحقائق، ولا يخلو مجتمع إنساني حتى في عهد فجر الإسلام والخلفاء الراشدين من ضعاف النفوس بدون أن يترك ذلك انطباعًا عامًّا، ومما يدلل على ذلك الثورة الفلسطينية الكبرى [١٩٣٦] التي قام بها أبناء الشعب الفلسطيني والتي تعد من أنجح حركات المناهضة والإضراب في العالم؛ حيث دام الإضراب الشامل في فلسطين من أقصاها إلى أقصاها لمدة ستة أشهر متواصلة وكان مطلب الثورة الأول وقف انتقال أرض فلسطين لليهود. تلك الثورة العظيمة التي استمرت ثلاث سنوات راح ضحيتها الكثير من أبناء فلسطين، كتب أحدهم والذي حكم عليه بالإعدام في وصيته: "أتمنى ألّا يلغى الحكم، لعلّ بموتي تحيا الأمة".

ثم جاء القرار الظالم من الأمم المتحدة [قرار التقسيم-١٩٤٧] والذي أعطى اليهود ٥٥٪ من الأرض، بعدها بسنة استولى اليهود على ٧٨٪ من الأرض إبّان حرب ٤٨، وزادت هذه النسبة بعد حرب الأيام الست [١٩٦٧]، وتحتل الآن إسرائيل من أرض فلسطين أكثر من هذا نتيجة للتوسعات الاستيطانية.

مما سبق نستنتج أن ما وصل لليهود نتيجة لشرائه من الفلسطينيين لا يتعدى الـ ١.٥ ٪ من مساحة أرض فلسطين. وكانت البقية من غير الفلسطينين ثم نتيجة لقرار التقسيم متبوعا بحرب ٤٨ ثم التوسعات الاستيطانية بعد ٦٧.

أقول إن أمر احتلال فلسطين وتسليمها لليهود هو أمر دبر بليل، دبر منذ سنوات عديدة، وقت أن حاول نابليون دخول عكا وباءت محاولته بالفشل، ثم أعادت إنجلترا إحياء هذه المؤامرة من خلال وعد بلفور مدفوعا بتوصيات "ثيودور هرتزل" الذي اجتمع بوفود العالم قاطبة في "بازل-سويسرا" لنيل مساندتهم في إنشاء وطن لليهود على أرض فلسطين، فأصبحت النتيجة أن من يومها ويقف الشعب الفلسطيني على قلب رجل واحد أمام العالم أجمع أعزل وحيدا مدافعا عن حقه في أرضه وحقه في الحياة. فشرف لكل فلسطيني انتماؤه لفلسطين وشرف لكل عربي أن فلسطين جزء من وطنه.

19- ناتوري كارتا ..

"الدين أفيون الشعوب"، على قدر ما قد تحمله هذه الجملة من تجاوز على قدر ما تحمله - شئنا أم أبينا- من قدرٍ لا يستهان به من الحقيقة. ليس المقصود هنا صحيح الدين بالضرورة لكن الأديان بمختلف أنواعها لوجود الكثير من الديانات التي نراها في حياتنا اليومية؛ يوجد الدين الصحيح ويوجد المحرف ويوجد الموضوع ويوجد المعاد صياغته ليتماشى مع أهواء معينة وليخدم تحقيق أهداف بعينها.

والأمثلة على ذلك حقًّا كثيرة؛ أبرزها ما اتخذه الصهاينة منهاجا لهم لإقناع العالم كافة بحقهم في أرض فلسطين بزعم ورود تلك الأحقية في التوراة وباختلاق القصص والأساطير الكهنوتية كهيكل سليمان وغيره من المزاعم التي هي من نسج الخيال ابتداءً.

لا أقول ذلك بدافع التحيز ضدهم أو العداوة لهم، بل ذلك ما يقره رجال الدين اليهودي وعلماء التلمود.

وما نشأت فكرة إنشاء وطن قومي لليهود إلا بعد أن عانى العالم الأمرين منهم فقرر زعماء الدول التخلص منهم بأن يجمعوهم في بقعة جغرافية واحدة

بدلا من أن يكونوا متفرقين يسببون القلاقل والمشاحنات في بلاد العالم قاطبة. وتبادر إلى الأذهان حينها العديد من الدول لتوطين اليهود بها كاليابان والأرجنتين وأوغندا ولكن تواجدت عقبة وقفت حجر عثرة تحول بين الفكرة وتنفيذها، فهذه الدول كغيرها من بقاع الأرض مأهولة بسكانها الأصليين وحتما طرد السكان الأصليين وقتلهم لصالح اليهود بدون داعٍ سيثير حفيظة منظمات حقوق الإنسان والمجتمع الدولي بشكل عام فكان القرار أن تم اختيار فلسطين لهذا الغرض تحت مظلة الهجرة الدينية لأرض الميعاد لليهود لوجود هيكل سليمان بها الذي تم هدمه قديما وبناء المسجد الأقصى بدلا منه كما يزعمون، ومرت الخطة بأن انطلت الخدعة على العالم أجمع.

"ناتوري كارتا - Neturei Karta" هي حركة دينية يهودية ترفض الصهيونية بكل أشكالها وتعارض وجود دولة إسرائيل، تم تأسيسها عام ١٩٣٥ كرد فعل من حاخامات اليهود الأصوليين - كما يطلق عليهم- لمبادرات تأسيس دولة إسرائيل على أرض فلسطين، ومما يثبت حقيقة عقيدة الحركة الدينية بالنسبة للمجتمع اليهودي أن أحد زعمائها قد أسندت إليه وزارة الشئون الدينية في إسرائيل، وتنص عقيدتهم على أنه بسبب خطايا اليهود عاقبهم الله بالتّيه في الأرض وعليهم أن يظلوا في هذا التّيه حتى مجيء المسيح عليه

السلام، وأن إنشاء دولة يهودية على أرض فلسطين أو غيرها هو مخالفة للإرادة الإلهية.

في هذا السياق أقر الحاخام "موشيه هيرش-Moshe Hirsch" بأن الرئيس الفلسطيني "ياسر عرفات" هو القائد الشرعي والقانوني لدولة فلسطين والتي تشمل الأرض المحتلة المقامة عليها دولة إسرائيل.

أما ما يخص هيكل سليمان وزعمهم بأن المسجد الأقصى قد بُني على أنقاضه يقول المؤرخ الإسرائيلي " بنيامين مازار Benjamin Mazar" بعد العديد من التنقيبات والحفريات والاكتشافات الأثرية، ببساطة يمكن استنتاج عدم وجود أي أثر للهيكل. ويضيف عالم الآثار الأمريكي " غوردن فرانز –Gordon Franz" لا أحد يعرف مكان الهيكل، كل ما نعرفه هو أن كل أولئك الذين يقولون أنهم يريدون بناء الهيكل يريدون في الدرجة الأولى تدمير المسجد.

وكان رأي أستاذ الآثار بجامعة تل أبيب البروفيسور"زئيف هرتسوغ - Ze'ev Herzog" هو الأكثر وضوحًا وانتقادًا قائلا : " إن هيكل سليمان وشعب الله المختار هي أحلام يقظة حولوها من حكايات عجائز إلى أساطير دينية لتعبر عن المجد اليهودي الزائف".

إن احتلال إسرائيل لأرض فلسطين ما هو إلا احتلال عسكري غاشم ولا علاقة للدين اليهودي أو للتوراة به، احتلال عسكري يخدم أهدافا سياسية واقتصادية لدول الغرب وما اتفقت تلك الدول على ذلك الأمر إلا لاتفاق مصالحها المباشرة أو غير المباشرة معه.

20 – كذبة سوداء (1) .. هجرة غير شرعية

يبدو أن صناع القرار في أمريكا يعيشون جلّ أيامهم في الأول من أبريل، ذلك ما يفسر كثرة أكاذيبهم التي بها في كل وادٍ يهيمون، امتد ذلك تقريبا إلى كل الأوساط الحياتية من علم وتاريخ وسياسة وغيرها.

(هؤلاء الناس طيبون ومسالمون جدًّا بحيث إني أقسم لجلالتك أنه لا توجد في العالم أمة أفضل منهم)، كذلك كان رأي كريستوفر كولومبوس الذي أرسله إلى الملك فرديناند ملك إسبانيا عن الهنود الحمر، ذلك الرأي الذي لا يألو الأمريكيون اليوم جهدًا في إخفائه وتبديله لإظهار السكان الأصليين كوحوش بشرية ليعطيهم ذلك مبررًا لما ارتكبوه من مجازر يندى لها الجبين في حقهم، بعد أن استقبل الهنود الحمر الرجل الأبيض بالورود والترحاب فوجئ بالأطماع الاستعمارية له ولاقى منه شتى أنواع العذاب من قتل أبنائه وحرق أرضه ونهب خيراته، وللتشجيع على ذلك رُصدت مكافأة قيمتها ١٠٠ جنيه إسترليني لكل رجل أبيض يأتي برأس هندي أحمر؛ فنظمت رحلات الصيد للهنود الحمر وأقيمت الحفلات للتمثيل بجثثهم، أقام تلك الحفلات قادة عسكريون يعدون أبطالا قوميين الآن في التاريخ الأمريكي أمثال جورج روجرز

كلارك وأندرو جاكسون الرئيس السابع للولايات المتحدة الذي أقام حفلة مثل فيها بجثث 800 هندي وأمر بحساب القتلى بإحصاء عدد أنوفهم المقطوعة، لا عجب أن تكون صورة ذلك السفاح على النقود الأمريكية اليوم فئة العشرين دولارا وأن يكون هو المثل الأعلى للرئيس الأمريكي الحالي دونالد ترامب كما صرح.

للهرب من هذا الجحيم اتفق زعماء الهنود الحمر على إبرام اتفاقية ليعيشوا بسلام مقابل أن يتنازلوا عن جزء من أرضهم بلا مقاومة، بالطبع رحب المحتل بهذه الاتفاقية ووعدهم أن يعم السلام حياتهم، وللتأكيد على ذلك أحضر لهم أعدادًا كبيرة من الملابس والأغطية لتقيهم من برد الشتاء ولتوفر لهم حياة كريمة- كذلك ظنوا- لكن كيف لسفاح أن يفكر بمثل هذه الطريقة؟ تم إحضار هذه الأغطية من المشافي والمصحات مشبعة بأمراض الجدري والطاعون والكوليرا فحصدت أرواحهم حصدا، كان ذلك في صيف عام ١٧٦٣ بالتنسيق بين القادة العسكريين چيفري امهرست وهنري بوكيه الذين هم أبطالٌ وطنيون أيضا في كتب التاريخ الأمريكي اليوم، تلك الخدعة التي راح ضحيتها الملايين من الأبرياء يمثلون ٨٠٪ من الهنود الحمر ولم يسلم الباقون من البطش والظلم بل قتلوا وحرقت أراضيهم وسممت آبارهم

بالسموم والعقاقير المعقِّمة ليصابوا بالعقم فينقطع نسلهم إلى الأبد، تلك نبذة عن قصة نشأة أمريكا اليوم، أمريكا التي نشأت على أنقاض ودماء الهنود الحمر ثم بعد ذلك بسنين ليست بالكثيرة على دماء وآلام العبيد الأفارقة الذين كانوا يرمونهم أحياءً في المحيط وغيرها الكثير من ألوان التعذيب، هذه هي أمريكا التي يدعي قادتها اليوم أنهم حاملو راية السلام والمعايشة في العالم وهم في الحقيقة من علموا العالم مبادئ الاحتلال والعنصرية والتطرف.

21- كذبة سوداء (2) .. خطوة للوراء

في الحادي عشر من يونيو عام ٢٠١٤ فاجأ رائد الفضاء "باذ الدرين" -ثاني إنسان يمشي على القمر بعد "نيل ارمسترونج" - العالم بتغريدة على موقع التواصل الاجتماعي تويتر قائلا فيها نصًّا (حان الوقت للاعتراف بأن رحلة أبوللو ١١ التي هبط بها الإنسان لأول مرة على سطح القمر صوّرت كلها في الاستوديو ولم تكن حقيقية)، وحين سُئل مؤخرًا لماذا لم يذهب الإنسان للقمر مرة ثانية قال: لأنه لم يذهب إليه مرة أولى من الأساس.

بدأت القصة بعد الحرب العالمية الثانية بعد انتصار دول الحلفاء بقيادة كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، بدأت بعدها المنافسة بينهما على الأرض من خلال الحرب الباردة وفي الفضاء من خلال من سيصل إلى القمر أولًا، كانت المؤشرات كلها تتجه صوب الاتحاد السوفيتي نتيجة للتقدم العلمي والبحثي في علوم الفضاء للسوفييت وقتها بالإضافة للخطوات العملية التي اتخذوها لإثبات جدارتهم لذلك، فأطلقوا في أكتوبر عام ١٩٥٧ قمر سبوتنك-١ أول قمر صناعي في البشرية، ثم في نوفمبر من العام نفسه قمر سبوتنك-٢ على متنه "الكلبة لايكا" أول كائن حي يصل للفضاء، ثم في

أبريل ١٩٦١ نجحوا بمهمة فوستوك-١ بأن يصل أول إنسان وهو رائد الفضاء "يوري جاجارين" للفضاء وأن يدور دورة كاملة حول الأرض. واكب كل ذلك النجاح فشل الولايات المتحدة في هذا المجال، حتى النجاحات المحققة في هذه الأثناء كانت قد سبق إليها الاتحاد السوفيتي، أغضب ذلك الرأي العام الأمريكي وشككهم في قدرة بلدهم على أن تكون القوة الأولى في العالم فما كان من الرئيس "چون كيندي" إلا أن وعد مواطنيه والعالم أجمع في سبتمبر ١٩٦٢ بأن سيصل الإنسان للقمر خلال العشر سنين القادمة، لم يدرك حينها أنه ورط بلاده ووكالة ناسا بشكل خاص في هذا الأمر، الأمر الذي قد يكون بعيد المنال.

في الـ ١٦ من أكتوبر عام ٢٠٠٢ أصدرت قناة Arte الإخبارية الفرنسية فيلمًا وثائقيا بعنوان (الجانب المظلم من القمر) التقت فيه بالعديد من الشخصيات التي كانت داخل دائرة القرار الأمريكي وقت رحلة أبوللو ١١، تقول " روز ميري وودز" السكيرتيرة الخاصة للرئيس " نيكسون" - رئيس الولايات المتحدة وقت أبوللو ١١- في العام ١٩٦٩ : ومع نجاح الروس في مجال الفضاء وتصريحاتهم بأنهم سيرسلون رجلًا قريبًا إلى القمر ومع قرب انتهاء مدة العشر سنوات التي حددها "كيندي" زاد الضغط الشعبي عليه وأصبح

في حيرة من أمره فاجتمع بمستشاريه في البيت الأبيض ومنهم ممثلون عن وكالة ناسا، قال أحدهم: إنهم إن استطاعوا الوصول للقمر فلن يمكنهم بالتأكيد نقل صور أو أفلام فيديو لذلك، لم ترق الفكرة للرئيس فأولويته هي لفت أنظار العالم لبلده، بعدها اقترح "هنري كيسنجر" - وزير الخارجية لاحقا- أن يتم تصوير الرحلة في أستوديو وتعرض على أنها حقيقية في حالة فشل ناسا في الوصول فعليًّا للقمر، فكر "نيكسون" مليًّا ثم أخبرهم أن أمامهم مهلة أسبوعين لينتهي كل شيء وبشكل متقن، فاقترح "دونالد رامسفيلد" - وزير الدفاع لاحقا- أن يستعينوا بالمخرج الإنجليزي "ستانلي كوبريك" فقد أخرج لتوّه فيلمه الرائع عن الفضاء(A Space 2001 Odyssey) بالإضافة لتعاونه مع ناسا في أفلام سابقة له؛ لذا فهو الأمثل لهذه المهمة، سافر "رامسفيلد" و"كيسنجر" إلى لندن للتفاوض مع "كوبريك" الذي رفض الفكرة في بادئ الأمر ثم وافق في النهاية.

أضف إلى ذلك الأدلة العلمية التي تدحض تلك المزاعم عن بكرة أبيها كالظلال المتقاطعة وعدم انتقال الصوت في الفراغ وحركة العلم واستحالة تخطي البشر لحزام ڤان آلن الإشعاعي حول الأرض وغيرها الكثير مما يثبت

تعوّد واستسهال واستساغة الإدارة الأمريكية في الكذب وتزييف الحقائق لمصالحها الخاصة.

تغريدة باذ ألدرين

22- كذبة سوداء (3) .. سقوط حر

الحادي عشر من سبتمبر للعام ٢٠٠١، يوم بدأ كأي يوم آخر إلّا أنه لم ينته كذلك، يوم خلّف ما يقرب من ٣٠٠٠ قتيل وأكثر من ٦٠٠٠ جريح، ونتج عنه احتلال دولتين وتغيير مسار السياسة الدولية، يبقى السؤال الأهم، من الذي دبر ونفذ؟ هذا هو السؤال وإجابته هي الحكاية.

في صبيحة الرابع والعشرين من يوليو للعام ٢٠٠١ وقبل ٦ ستة أسابيع فقط من الأحداث أجر رجل الأعمال اليهودي "لاري سيلفرستين" البرجين التوأم من مدينة نيويورك لمدة ٩٩ سنة بقيمة ٣.٢ مليار دولار تحت مظلة تأمينية بقيمة ٣.٥ مليار دولار لكل برج ضد الكوارث الطبيعية والأعمال الإرهابية بالتحديد، أضف إلى ذلك ذهاب ثلاثة أشخاص يهود فقط للعمل بالبرجين في 11 سبتمبر من أصل ٤٠٠٠ يهودي، وكان لا بد للحدث من توثيق بدقة عالية، قام بذلك خمسة شباب يهود من فوق بناية وثبتوا كاميراتهم على البرجين قبل الاصطدام، أُلقي القبض عليهم بعد سقوط البرجين وحبسوا ٧٢ ساعة ثم صدر أمر الإفراج عنهم من رئيس المحكمة رأسًا ورحلوا إلى إسرائيل بعدها مباشرة.

هل يمكن أن تلعب الصدفة كل هذه الأدوار في آن واحد؟ أم أن هناك من له استفادة قريبة أو بعيدة المدى؟

تقول "سوزان ليندلور" ضابطة الاتصال السابقة في الـ CIA إن اصطدام الطائرات بالبرجين لم يكن إلا عملية تمويه عن السبب الحقيقي لسقوط البرجين وهو هدمهم بالمتفجرات عن بُعد، هذا ما أقره رجال الإطفاء والناجون بحديثهم عن سماعهم دوي انفجارات متتالية قبل سقوط البرجين، وهذا ما دعمه العثور على بقايا مادة الثيرمايت شديدة الانفجار في موقع الحادث، فسر ذلك بدوره وجود كرات من الفولاذ المذاب مكان السقوط، حيث يتطلب الفولاذ لانصهاره درجة حرارة ٢٥٠٠ فهرنهايت والدرجة القصوى لاحتراق وقود الطائرة هي ١٨٠٠ فهرنهايت أما مادة الثيرمايت فتنفجر مولدة درجة حرارة تصل إلى ٤٥٠٠ فهرنهايت الكافية لصهر الحديد الصلب المصنوع منه البرجان، وبالتالي انهيارهما في التوّ.

يوافق ذلك أيضا حقيقة أن البرجين سقطا بسرعة السقوط الحر، وينافي ذلك فكرة الانهيار بسبب الاصطدام لأن الأدوار السفلى السليمة كانت ستقاوم وتبطئ من سرعة السقوط، بالإضافة إلى أنه في السادس من سبتمبر

تم سحب جميع كلاب اقتفاء المتفجرات وتوقيف عمليات الحراسة المشددة على البرجين.

وبالنسبة للطائرات فكانت من نوع "بوينج ٧٦٧" ومن الجدير بالذكر أنه في ديسمبر ١٩٨٤ تم إقلاع طائرة "بوينج٧٢٠" بدون طيار عن طريق التحكم عن بعد ثم إسقاطها عمدا لإجراء بحث عن الوقود وإجراءات السلامة، أي أن احتمالية أن تكون الطائرات المصطدمة بالبرجين كانت بدون طيار غير مستبعدة.

الأغرب من ذلك هو انهيار المبنى رقم ٧ والمكون من ٤٧ طابقا والمجاور للبرجين دون أن تصطدم به أي طائرة أو ينشب به حريق ضخم لكن ليس غريبا أن يكون المبنى ملكا أيضا لرجل الأعمال اليهودي "لاري سيلفرستين"...

على الجانب الآخر من مسرح الأحداث يكفي قول العقيد "جورج نلسون" وهو محقق سابق بحوادث الطيران في سلاح الجو الأمريكي: (مع معاينة أدلة موقع الاصطدام في البنتاجون لا يمكن لأي محقق عقلاني وحيادي إلا أن يستنتج عدم صحة الادعاء القاضي باصطدام "بوينج٧٥٧" بالبنتاجون). ذلك لعدم ظهور أي طائرة على كاميرات المراقبة وقت نشوب الحريق في سور البنتاجون أو حتى العثور على بقايا حطام للطائرة المصطدمة كالمحرك أو

الجناحين! هذا جزء من أدلة يوم الحادث على أنه عمل أمريكي يهودي خالص، ولا تقل الأدلة الاستباقية أهمية عنها، فأثبتت الإدارة الأمريكية عقيدتها بصنع ذرائع لاتخاذها مبررات لتنفيذ مخططاتها على مر العصور، كعلم الرئيس روزفلت المسبق بإقدام اليابان على هجوم "بيرل هاربور" إلا أنه لم يحرك ساكنا ليتخذ ذلك مبررًا لدخول الحرب العالمية الثانية مع الحلفاء المنتصرين للاستفادة من غنيمة الحرب.

وفي الـ١٣ من مارس ١٩٦٢ قدم "ليمان ليمنتزر" رئيس هيئة الأركان إلى وزير الدفاع "روبرت مكنمارا" اقتراحا أطلق عليه عملية "غابات الشمال north woods" ينص على اختلاق هجمات إرهابية داخل خليج جوانتانامو وقتل مدنيين أمريكيين ليعطي ذلك ذريعة لتدخل الجيش الأمريكي في كوبا، وما أشبه اليوم بالبارحة. لا أبرئ المتهمين من وصمة التطرف والعنف والإرهاب بشكل عام إلا أنه من منطلق المنطق والعلم والسياسة يستحيل على هؤلاء قاطني الجبال اختراق أقوى جهاز استخبارات في العالم والوصول للعمق الأمريكي بهذه الطريقة الفجة والقيام بمثل هذه العمليات النوعية بالغة الدقة.

ومما يعضّد اتجاه اصطناع ١١ سبتمبر منظمة (مشروع القرن الأمريكي الجديد-PNAC) وهي منظمة سياسية نشأت في ١٩٩٧ ووقّع على وثيقة مبادئها ٢٥ من السياسيين الذين تولى أغلبهم مناصب رفيعة المستوى في إدارة "جورج بوش" مثل "رامسفيلد" وزير الدفاع و"ريتشارد تشيني" نائب الرئيس، صدر عنها في سبتمبر ٢٠٠٠ تقرير باسم "إعادة بناء دفاعات أمريكا" جاء فيه نصًّا أن عملية التغيير المطلوبة ستكون بطيئة جدًّا بغياب أحداث كارثية جوهرية بحجم كارثة "بيرل هاربور"، ثم لم تمض سنة إلا وقد نفذت تلك الأحداث الكارثية المنشودة.

هذه هي أمريكا التي لا تنفك أن ترتدي ثوب الحكمة والأستاذية في العالم الذي تملؤه تنظيرا وتوجيها، ما هي إلا بطل من ورق.

على الجانب الآخر من القضية وبشكل عام دون إسهاب يجب عدم الانجراف ابتداءً وراء نظريات المؤامرة بدون إعمال المنطق والحيادية، لكن بعض الحقائق تستحق التأمل.

23- أغنياء ولكن ..

الغِنَى هو تعبير غني في مفاهيمه وأبعاده، فقد يكون مباشرًا أو غير مباشر، ليس معنى الغنى هو غنى ذات اليد أو الروافد فحسب بل قد يكون أيضا في قلة المصابّ أو عدم الحاجة لذلك إما لعدم حاجة أو قناعة أو رضا أو زهد؛ ذلك الزهد الناتج من عدم تعلق القلب بالدنيا والنظر إليها نظرًا مناسبًا لدونيتها، فمهما عظمت فهي دار ممر.

الإنسان الغني هو من يهبه الله تلك المفاهيم ويرزقه التّوق لما هو أعظم وأثمن وأدوم.

كذلك البركة من مظاهر الغنى، البركة المادية والمعنوية على حد سواء، البركة في الود والحب والسعادة، تجد أحدهم ينفق جل ماله في شتى المناحي ليصل إلى بسمة وصل إليها غيره بأقل مجهود وربما عن غير قصد.

و أحيانا يكون الغنى نتيجة للاستغناء عن الناس وعدم الحاجة إليهم، نجد ذلك جليًّا فيما ورد في الحديث الشريف: من أصبح معافًى في بدنه عنده قوت يومه فقد ملك الدنيا بحذافيرها أو كما قال.

ومن مسببات الغنى غنى النفس والاعتزاز بها وعدم قبول وضعها في أقل من قيمتها الحقيقية العالية، مهما اختلفت طبقات الأشخاص الاجتماعية علوا ودنوا تظل قيمة أنفسهم ثابتة ومتساوية فهم على اختلافهم الظاهري متساوون إنسانيًّا.

ومن وجهة نظر قد تكون مغايرة للمألوف فقد يؤدي الغنى المفرط إلى فقر نوعي والعكس بالعكس، فكلما زادت الموارد قلت الحاجة إليها وبالتالي قلت قيمتها إلى أن نصل في الرسم البياني المكون من هاذين الإحداثيين إلى نقطة مهما زادت بعدها الموارد تظل القيمة ثابتة لانعدام الحاجة الحقيقية لها، بعد تلك النقطة أصيب العديد من الأثرياء بالاكتئاب وأحيانا أبعد من ذلك لشعورهم بشعور من يركض في مكانه أو بمن يبحث في السراب.

هذه ليست دعوة للتقاعس أو للركون للسلبية أو الجمود فتقتضي الحكمة أن تعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا لكنها تقتضي أيضا أن لا تكون تلك هي الأولوية.

24- حقائق لا تود أن تعرفها ..

1. ما السعادة إلا فاصل زمني بين الحزن والآخر.

2. الحياة ليست المكان الأفضل للعيش فيه.

3. لا ينتهي الاجتهاد دائما بالنجاح.

4. يقال عنك وراء ظهرك ما لا تود سماعه من أقرب الناس إليك.

5. ليس بالضرورة أن ما تدركه هو الحقيقة.

6. أنت وحيد في هذا العالم.

7. لا تغرنّك طيبة الضعيف حتى تراه قويًّا.

8. لا تخدعك ابتسامة السائل حتى يصل لمسألته.

9. من تفكر فيه ليل نهار قد لا يتذكرك من الأساس.

10. كلٌّ يضم صدره ألمه الخاص به إلّا أن بعضنا يجيد التمثيل.

11. يعرف أسرارك شخص لا تعرفه اؤتمن عليها.

12. أنت لست محور الكون.

13. تُبنى الثقة في سنين وتُهدم في لحظة.

14. قد يموت المرء عدة مرات في اليوم الواحد.

15. أمرّ المرّ حاجتك للناس.

16. ما الدمع ماء العين لكنه نفس تذوب فتقطر.

17. قد لا يؤثرك سوى أبويك فلا تبتئس.

18. كل يوم يمضي يقربك من النهاية أكثر.

19. أنت لا تملك حتى رفاهية الانهيار.

20. على الرغم من اقتناعك بموقفك فإن الحنين سيقتلك كل يوم.

21. سوف تتناسى ولن تنسى، وتتغافل ولن تغفل.

22. في بعض الأحيان يكون الحلم أفضل من تحقيقه.

23.كل متعلق بغير الله مخذول، وكل اتكاء على غير الله عَرج.

24. قد يزول الخصام لكن لا يعود الود.

25- مشهد (1) .. حفلة عشاء

كان يومه طويلًا يغلب عليه الملل الذي يشوبه بعض اليأس .. وعلى حين غفلة رن الهاتف في المساء .. إنها حفلة عشاء .. أخيرًا تحركت المياه الساكنة، تلونت الليلة الداكنة، تحول صمت الملل إلى لحن أمل .. لم تسعه الدنيا من فرحته، واتجه سريعًا لخزانته .. فوجد أكثر من رداء يختلفون في اللون والشكل ولكن يتفقون في أن أحدهم لم يجرب من ذي قبل .. فنفض عنهم ما يكسوهم من غبار وقرر أن يختار .. ولكن طال وقت الاختيار؛ فكلما اتجهت يده المترددة لأحدهم أخذ آخر مكانه وشكك في مناسبته للمناسبة؛ فأخيرًا جاء الموعد المنتظر، الكل يريد أن يظهر .. الوقت يمضي وموعد الحفلة يقترب إلا أنه ما زال محتارًا في الاختيار .. وبينما هو ينظر إليهم في حيرة وشك نظر لساعته، لم يصدق المفاجأة وامتلأ خوفًا وقلقًا على حفلته؛ فلم يتبقَ من الوقت سوى قليل القليل فأغلق غاضبًا باب خزانته وانطلق لموعده بمعطفه الذي يرتدي.. تعجب منه من في الطريق ونبهوه ونصحوه ولكنه لم يلق لهم بالًا؛ يريد أن يصل للحفل بأي شكل .. وأخيرًا جاء وقت الوصول وكانت الصدمة.

لم يسمح له بالدخول، حاول مرارًا وتكرارًا ولكن بدون قبول.. بيد أنه لاحظ أمرًا أذهله، كل من يدخلون الحفل يرتدون أردية مثل التي عطله الاختيار بينها.. فعلم أن كل ما كان في الخزانة كان يصلح إلا ما كان يرتدي .. ثم عاد مطأطَأً الرأسِ ودخل بيته وجلس على أريكته ونظر إلى خزانته وتمنى فرصة أخرى .. ثم بعد سنين وسنين وسنين جاء عليه يوم، كان يومًا طويلًا يغلب عليه الملل الذي يشوبه بعض اليأس.. وعلى حين غفلة رن الهاتف في المساء.. إنها حفلة عشاء .. أخيرًا تحركت المياه الساكنة، تلونت الليلة الداكنة .. تحول صمت الملل إلى لحن أمل .. لم تسعه الدنيا من فرحته، واتجه سريعًا لخزانته.

26- مشهد (2) .. هوستل

-تعرفي إنك صعبانة عليا؟

-لا الحقيقة معرفش .. بس مايصعبش عليك غالي يعني .. اشمعنا؟!

-عشان أنتِ حلوة أوي.

-معلش متزعلش هحاول أوحش نفسي شوية ...

-لا بجد أنتِ أحلى من الصور بكتيير جدًّا.

-عشان كده صعبانة عليك؟ عشان "أحلى من الصور بكتير" !

-أيوة طبعا .. شكلك على الحقيقة جميل جدًّا، أنتِ في الصور جميلة برضو بس على الحقيقة أحلى بكتير من الصور والفيديو، وأنتِ الوحيدة اللي ماشوفتش شكلك على الحقيقة!

-يعني إيه ماشوفتش شكلي على الحقيقة .. ما أنا بشوف نفسي في المرايا وعالإزاز و ... تصدق صح أنا عمري مافكرت في الموضوع دا قبل كدا.

دا أنا كمان عمري ما سمعت صوتي من بعيد ولا شوفت شكلي وانا بمشي أو وانا بجري أو وانا بتكلم أو أي حاجة.

-دايما شايفة نفسك عالحقيقة من جوة مش من برة وبتكوني صورتك عن نفسك من برة من خلال نظرة الناس وكلامهم وتعبيرهم عنك ليكي.

-ودا مش كفاية؟

-كفاية لو كل الناس اللي هتستخدمي معطياتهم عندهم مصداقية وحيادية في نقل الحقيقة من غير تغيير أو تبديل فيها بقصد أو بغير قصد، لهدف أو لخطأ ...

-طيب وبعدين، أنا هاعرف شكلي ازاي كدا؟! أنت بتقولي إني جميلة، أصدقك ولا لأ؟!

-أنا بقولك إنك جميلة، بس أنا بحبك، يمكن دا يكون ليه تأثير إيجابي مغير أو عالأقل مبالغ للحقيقة.

-بس الناس كلها بتقولي كدا، مش ممكن كلهم بيبالغوا أو بيكدبوا؟

-الناس كلها بتقول كدا، بس برضو الناس كلها بتقول كدا قدامك، أنتِ ماشفتهمش بيقولوا أيه أول ما تبعدي عينك عنهم أو تقفلي الباب وراكِ.

-لكن أكيد فيه نسبة من كلامهم صحيحة.

-بدأنا نتفق، نسبة، النسبة دي قد إيه؟ هو دا السؤال المهم، بس فيه سؤال أهم، النسبة دي عندك أنتِ قد أيه؟، المفروض النسبة تزيد كل ما الشخص

يقرب وأنتِ لازم تكوني صريحة وصادقة مع نفسك عشان عالأقل تتوقعي دا من اللي حواليكِ.

-طيب هو لازم اللي يقولي حاجة حلوة مش فيا أو بيبالغ في الصفة دي يكون بيضحك عليا أو مش صريح .. يمكن بيجاملني أو مش عايز يزعلني.

-يمكن ويمكن كمان دا اللي عايز يشوفه.

-مممم،، أنت في وسط الكلام كدا قُلت إنك.. بتحبني..؟؟

- أنتِ ماخدتيش بالك من أي حاجة من اللي قولناه دا كله غير الكلمة دي؟!

-يمكن دا اللي عايزة أسمعه.

-ممم .. ماشي - قالها بعد لحظة صمت تردد فيها صدى جملتها على مسامعه - ثم أردف قائلا:

-أنا هنزل اقعد في الكافيتيريا تحت لغاية الصبح بعدين نشوف هنتصرف ازاي .. بس قبل مانزل عايز اقولك حاجة تانية.

-قبل ما تقول الحاجة التانية دي مش لازم تنزل أنا ممكن أنام في الأوضة الصغيرة اللي جوة، أو نام أنت فيها أو في الحمام حتى .. مش انت الراجل ...

-عايز أقولك انك فيكِ كل صفات الجمال، الشكل الجميل، الأنوثة الطاغية، الصوت الرقيق، الذوق الحلو دا غير الأخلاق العالية .. يعني جميلة شكلًا وموضوعًا ... تصبحي على خير.

ثم قام تاركًا الغرفة وأغلق بابها بهدوء بعد أن أرسل لها نظرة اشتياق وبسمة وداع، مرت تلك اللحظات السابقة دون أن تنبس ببنت شفة لكن وراء شفتيها وفي خلدها كانت تدور أحاديث وتساؤلات كثيرة .. لم تفاجئها الكلمات كثيرا فهي تعلم تمام العلم أنها جميلة؛ فقد سمعت إطراءات كثيرة من أناس كثر فيصعب أن يُرى مثل هذا الحسن ولا يقابل بمدح أو تعبير، لكن الذي فاجأها نظرة العين ونبرة الصوت، فإن عبرت كلماته عما يدور في وعيه فقد عبرت نظرته ونبرة صوته ولغة جسده وتنهيدته عما يحويه لا وعيه من معانٍ كثيرة أو بالأحرى معنًى واحدٍ يحوي معاني كثيرة، ما استغربته أيضا هذا التناقض العجيب في قاموس البشر العاديين، فكيف يكن لها كل هذا الوله والهيام ويترك صحبتها ومجاورتها رغم موافقتها، أهو بشر غير عادي أم ما الذي أصابه جعله كذلك؟

27- رؤية ..

اتفق الناس على ألّا يتفقوا، وهذه هي القاعدة، لكن لكل قاعدة استثناءات، من تلك الاستثناءات العلم، فلا يختلف اثنان ولو اختلفت الثقافة والمرجعية والفكر المنتميان له عن مصداقية وتصديق العلم وحقائقه الثابتة، فلا ينكر أحد أن عقار الإنسولين يخفض مستوى السكر بالدم أو أن تتمدد الأجسام بالحرارة والعكس بالعكس.

لا يتجزأ علم المنطق عن كوكبة العلوم الحديثة، ويعد قانون السببية أحد أهم قوانين ومبادئ علم المنطق، قانون السببية الذي يخبرنا بأنه لا بد للمصنوع من صانع وللموجود من واجد، وعدم وجود الصانع يؤدي حتما للعشوائية المطلقة، تلك العشوائية التي تنتفي معها الاستمرارية وينتفي معها النظام المحكم المسيّرة به كل مناحي الحياة. يجعلنا ذلك ننحاز لمعسكر القائلين بوجود الواجد والبادئ والخالق هؤلاء الذين يُطلق عليهم "الدينيون"، أما عن سؤال من خلق الخالق ومن وجد الواجد، وذلك من منطلق قانون السببية فإن هذا القانون نفسه مخلوق ومن غير المنطقي أن نحكم على الخالق بالمخلوق.

بالحديث عن الدينيين يُطرح تساؤل وهو: أي منهج من مناهجهم هو الصحيح؟

ينقسم الدينيون لموحدين وغير موحدين، والمتأمل للكون يجد التوحيد أسلوب حياة وسنة كونية من أصغرها إلى أكبرها؛ من الإلكترون الملتزم بمساره حول النواة إلى الأرض التي لا تخرج عن مدارها حول الشمس، ومن ذرة الهيدروجين تكونت باقي ذرات وجزيئات الكون، ونجد خطة تشريحية واحدة لكل الكائنات، وغيرها الكثير من مظاهر الحياة التي تشير إلى أن وحدة الخلق تدل على وحدة الخالق، يجعلنا ذلك نبتعد بفكرنا عن الأديان الشركية كالهندوسية ونميل أكثر نحو الأديان التوحيدية التي قد اندثر بعضها في غياهب الزمن كالإخناتونية في مصر القديمة والتي ما زال بعضها قائمًا كالزرادشتية "المجوسية" والسيخية والديانات الإبراهيمية.

من منظور آخر من الديانات ما اتخذت الفلسفة الدنيوية وتفسير مظاهرها ووضع أسس للحياة منهجا لها وغضت الطرف عن حياة ما بعد الموت مثل الديانة البوذية والكونفشيوسية، يعد تابعو تلك الأديان وواضعوها فلاسفة أكثر من كونهم أنبياء.

بالرجوع للأديان التوحيدية يمكن تقسيمها طبقا لمعتقديها إلى ديانات سماوية استمدت تعاليمها من الخالق الذي أرسل رسالاته إلى عباده من خلال رسله، وأخرى غير سماوية اعتبرت تعاليم واضعيها نصوصًا دينية لهم كالزرادشتية والسيخية التي هي في الأصل مزيج بين الهندوسية والإسلام.

بالمقارنة بين الفريقين ترجح كفة الأديان السماوية لاتساقها مع المنطق السالف ذكره.

الأديان السماوية الحالية هي ثلاثة أديان، المسيحية والإسلام واليهودية بترتيب الأكثر انتشارا، لا يتسع المجال في هذه السطور القليلة للمقارنة بينهم لكن لبعض الخطوط العريضة دور في توضيح المعنى، الإسلام هو الدين الوحيد الذي له اسم خاص به يدل على عقيدته وليس اسمًا منسوبًا كالبوذية انتسابا لبوذا أو اليهودية انتسابا ليهوذا بن يعقوب، كما أن للإسلام السبق في القرب من العلم الحديث، كالتحدث عن كروية الأرض وأطوار نمو الأجنة وغيرها الكثير من الحقائق التي يستحيل لأي بشر البتّ فيها في هذه الحقبة الزمنية، وضح ذلك جليًّا في كتاب "التوراة والإنجيل والقرآن والعلم" لكاتبه الدكتور "موريس بوكاي"، كما لم يكن للإسلام في تاريخه مؤتمر أو مجمع يحدد له هويته.

ومما يدلل على صدق دعوة الإسلام أنه لا يحتاج لطقوس خاصة من الأفعال للانتساب إليه، فقط اتباع نور الفطرة وصوت الحكمة حيث إن منبع الإيمان دومًا هو القلوب النقية والنوايا الصادقة.

الفهرس ..

مقدمة ..	2
1- ومضة ..	3
2- جذور ..	5
3- عدل؟!	7
4- مندل ..	11
5- السر ..	14
6- إدراك ..	18
7- الحب ..	21
8- المرأة ..	23
9- قواعد الحب الأربعون ..	25
10- ميثاق ..	28
11- ختام الإناث ..	31
12- نضارتي ..	37
13- المجهر ..	40
14- تساؤل ..	43
15- حياة الظل ..	46
16- فاضي؟! ..	49
17- تعلمت ..	52
18- أسطورة ..	55
19- ناتوري كارتا ..	59
20- كذبة سوداء (1) .. هجرة غير شرعية	63
21- كذبة سوداء (2) .. خطوة للوراء	66
22- كذبة سوداء (3) .. سقوط حر	70
23- أغنياء ولكن ..	75
24- حقائق لا تود أن تعرفها ..	77
25- مشهد (1) .. حفلة عشاء	79
26- مشهد (2) .. هوستل	81
27- رؤية ..	85
الفهرس ..	89

للتواصل مع الكاتب ..

www.facebook.com/dr.wessamkassem